4 me Année, No. 138. | Lundi 24-2-1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٣٨ «القاهرة فى يوم الاثنين أول ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٦» السنة الرابعة

فهرس العـــدد

مصر فى المعرض !

— ١ —

أليس من حسن توفيق الله أن يجلس المفاوض المصرى فى قصر الزعفران ، ومن ورائه مصر العاملة محشودة كلها بسودانها وصعيدها وريفها فى المعرض ! تشدد قوته بروح النهضة ، وتؤيد حجته بدليل الحس ، وتسند هيبته بروعة الواقع ؟

أليس من جميل عون الله أن يتألف من ذات مصر ومعناها على هذا النحو الذى تراه فى المعرض قياس عجيب الإنتاج ، وقصيد قدسى الإلهام ، وخطاب سحرى البيان ، ودفاع قوى الأثر ، فى الوقت الذى برّ فيـه اللورد لويد عقاربه هنا وهناك ، يلسعون بالتمائم ، ويدبون بالأراجيف ، ويُقسّمون رأيهم فى الأمر على أن مصر بطبيعة ضعفها متخلفة لا تلحق وتابعة لا تستقل ؟ !

تعالوا يا طلائع الاستعمار ، وصنائع الامتيازات ، وثعالب الكرمة ! هـذه هى مصر الحقيقية قد عرضت عقلها ويدها فى متين فداناً من الأرض لتيسّر لكم وسيلة الحكم ، وتقصّر عليكم مدى النظر ؛ فلطالما خدعكم عن حقيقتها مغرورٌ يريد الحكم ،

أو منهوم يرغب المال، أو محروم يطلب الوظيفة.

زوروا المعرض الزراعي الصناعي تجدوا مصر التي لا تقرأونها في صحيفة، ولا تسمعونها في خطبة، ولا تبصرونها في مظاهرة، ولا تقابلونها في ملهى، ولا تحادثونها في حزب! هي تجري مع الزمن في سكون، وتعمل مع الطبيعة في صمت، وتنشق عن ثمار النبوغ كما تنشق الأكمام عن أريج العطر في هدوء الغسق!

زوروا أيها المفاوضون عن الحليفة المتجنّية معرض الجزيرة قبل أن تدخلوا سراي العباسية، تلمسوا في كل ناحية من نواحي النشاط الصناعي ألف دليل ودليلا على نضوجنا المدني؛ لأن الإنتاج الزراعي إذا رجع إلى عمل الله وفطرته، فإن الإنتاج الصناعي مرجعه إلى فكرة الإنسان وقدرته؛ وقد عَدَوْنا ذلك الطور منذ سنين، وأصبحنا نُصَرِّف عمل الطبيعة، ونستخدم ثروة الأرض، ونساهم بحذق في ترفيه الإنسان.

* * *

بين الهرم والنيل شاهدي القرون وعيني الأسلاف، احتشدت مصر الحديثة حكومةً وأمة، تقدم إلى أمسها الحساب الذي يبرئ الذمة، وإلى يومها العمل الذي يجدد الطريق، وإلى غدها الأمل الذي يحدد الغاية!

الزارع والصانع والتاجر والعالم والأديب والموظف قد أثبتوا بهذا المعرض الموفق في إخلاص غير غالٍ ولا مفتعَل، أن مصر التي تسير في مؤخرة الدول بسياسة الكلام، تجري في مقدمة الشعوب بسياسة العمل!

ودلالة ذلك أن بين الأمة وقادتها حجاباً من الجهل والعزلة لا ينفذ منه الشعاع، ولا تنعكس عليه الروح، ولا ترتسم فيه مقاييس القدم! على أن أكثرنا لا يزيد علمه بهذا البلد المظلوم على علم هؤلاء القادة؛ فقد كنا نرى في المعروضات الأهلية والحكومية نفائس الصناعة ودقائق الفن، من ضروب اللباس والأثاث والآنية والزينة، فيداخلنا الشك في أنها مصرية! ولكنا نرى بجانبها الآلة تدور، والصانع يعمل، والمنتوج يخرج كالمعروض في دقته وأناقته، فيستولي على المر قوي غريب، فيه الخجل من سوء الظن، وفيه اللذة من د المفاجأة، وفيه الاقتناع بصحة النهضة، وفيه الاطمئنان سلامة الوطن. هذا الانتاج الفاخر هو الذي يقدمه إليك ا الأوربي في بيوت البيع الكبيرة بلسانه المعسول وغلافه ال وكلمته الواحدة وسِمَته المزورة، فتشتريه بالثمن الغالي على أنه من وراء البحر، قد تجشم أكلاف النقل، وتكلف رسوم الجم وتكبد أضرار الخسارة، وهو مصري اشتراه الأوربي بالذهن و بالخديعة، وحرم الصانع المصري المسكين أجر العمل بـ القيمة، ومجد الصنعة بسرقته النسبة. وعلة ذلك كله أن ا المصري قد جعل الكذب جزءاً من رأس المال، المستهلك المصري قد جعل المساومة شطراً من الثمن، فكان من هذا الوسيط الأجنبي بينهما ليستر بخداعه كذب المنت ويبطل بمهارته مساومة المستهلك!

* * *

معرض هذا العام قطعة من الفن العجيب عملت يدٌ صَناعٌ وفكرةٌ فنّانة؛ فالوزارات والمصالح تتقدمها و المعارف ووزارة الزراعة من جهة، والشركات والجمعيات تتز شركات بنك مصر والجمعية الزراعية من جهة أخرى، تضاف كفاياتها وتسايرت رغباتها على تمثيل النشاط المصري هـ التمثيل الناطق الصادق المعبر، فلا تجد عملاً من أعمال اليد، ولا من آثار الذهن، إلا منظوماً بفن، ومعروضاً بذوق، ومشر بخبرة، حتى أخلاق الموظفين والمنظمين والعارضين والمتفر — إذا استثنيت جزءاً من إدارة المعرض — تجري على هـ النسق البديع من الجمال والنظام والدقة! وسنقف بعد هـ النظرة الخاطفة والكلمة العجلى على كل قسم من أقسام المعر فنستبينه عن أمره، ونستكشفه عن سره، ثم نطالعك نلاحظ من أسبوع لأسبوع...

احمد حسن الزيات

٢ ـ الزاهـــدان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أحمد بن مسكين: وانتشر حديثُ السمكة في أهل (بلخ)، واستفاض بينهم، وكنتُ قَصَصْتُه عليهم يوم سبت. فلما دار السبتُ من أسبوعه لقيني شيخهم حاتم بن يوسف (لقمان الأمة) ومعه صاحبُه أبو تراب، فقال: أحمد! لكأنك في هذه المدينة قرّطام ببلبل فلا يعظ الناسَ في يوم السبت غيرك؛ ومن سمع فكأنه عايَن، وليس على ألسنة أهل بلخ منذ تحدثتَ إلا بِشْرٌ وابنُ حنبل، ولا على بال أحد منهم إلا موعظتك وحديثك. والكلامُ عن الصالحين في مثل ما وصفتَ وحكيتَ قُربٌ من حقائقهم، وسموٌّ إلى معانيهم؛ وليس في القول بابٌ له موقع كوقع القصة عن هؤلاء الذين يخلقهم الله في البشرية خلقَ النور، يضيءُ ما حوله من حيث يُرى، ويعمل فيما حوله من حيث لا يُرى، وفي ظاهره الجمال والنفعة، وفي باطنه القوةُ والحياة. ولست أقول لك اذهب فحدِّث الناس، ولكني أقول اذهب فأعط النـاسَ عقلا من الحديث

قال ابن مسكين: فلما صلينا العصر قدمني أبو تراب فجلست في مجلسي ذلك، وهتف بي الناسُ يريدون الحديث عن بشر الحافي وما سقط لي من أخباره على الطريقة التي حدثتهم بها من قبل، فابتدأتُ بذكر موته رحمه الله وأن يومَه كأنما اجتمع له أهل خمس وسبعين سنة [(1)]، إذ خرجت جنازته بعد صلاة الصبح فلم يحصل في قبره إلا في الليل مما احتشد في طريقه من الخلق، حتى لكأن في نعشه سرا من أسرار الجنة في هذا، فخرجوا ينظرون اليه، وكانوا يصيحون في جنازته: هذا والله شرفُ الدنيا قبل شرف الآخرة.

ثم قلت: حدثني حسين المغازلي [(2)] أن بشراً رحمه الله كان لا يأكل إلا الخبز تورعاً عن الشبهات واكتفاء لضرورة الحياة بالأقل الأيسر، وكان يقول في ذلك: يدٌ أقصر من يد، ولقمة أصغر من لقمة. وسئل مرة: بأيّ شيء تأكل الخبز؟ فقال: أذكر العافيةَ فأجعلها إداماً. وقد أعانه على ذلك أنه لم يتزوج، وكان يرى هذا نقصاً في نفسه حتى فضَّل الامام أحمد بن حنبل بأشياء منها أن له أهلا؛ غير أنه قيل له ذات يوم: لو تزوجت تمَّ نُسُكك؛ فقال: أخاف أن تقوم الزوجةُ بحقي ولا أقوم بحقها، فكانت هذه النية في نفسه أفضل من زواجه

وكان مع هذا لا يؤاكل أحدا ولا يسعى إلى لقاء أحد حتى إنه لما رغب في مؤاخاة الزاهد العظيم معروف الكرخي أرسل اليه الأسودَ بن سالم وكان صديقا لهما، فقال لمعروف: إن بشر بن الحارث يريد مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني اليك يسألك أن تعقد له فيما بينه وبينك أخوة يحتسبها ويعتد بها، إلا أنه يشترط فيها شروطاً: أولها أنه لا يحب أن يشتهر ذلك، وثانيها ألا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة؛ فقال معروف: أما أنا فاذا أحببتُ أحداً لم أحب أن أفارقه ليلا ولا نهاراً، وأزوره في كل وقت، وأوثره على نفسي في كل حال؛ وأنا أعقد لبشر أخوةً بيني وبينه ولكني أزوره متى أحببت، وآمره بلقائي في مواضع نلتقي فيها إذا هو كره زيارتي

قال حسين المغازلي: وكان هذا كله من أمر بشر معروفاً في بغداد لايجهله أحد من أهلها إذ لم يكن لبغداد إمام غيره وغير ابن حنبل؛ فما كان أكثر عجبي حين كنت عنده يوماً وقد زاره فتح الموصلي، فقام فجاء بدراهم ملء كفه ودفعها إلى وقال: اشترلنا أطيب ما تجد من الطعام، وأطيب ما تجد من الحلوى، وأطيب ما تجد من الطيب؛ وما قال لي مثل ذلك قط، وهو الذي رأى الفاكهة يوماً فقال: ترك هذه عبادة! وهو القائل لأبي نصر الصياد: لو أطعمنا أنفسَنا هذا ما خرجت السمكة [(1)]

(١) مات رحمه الله عن خمس وسبعين سنة

(٢) نسبة الى عمل المغازل، وكان حسين هذا صديقاً لبشر، وكان — يعمل بعمل المغازل ويعيش من ثمنها، ومن كلامه لابن أخته عمر: يا بني اعمل بيدك فان أثره في الكفين أحسن من أثر السجدة بين العينين. هكذا كانوا

(١) مر هذا في مقال (السمكة) في العدد للماضي من الرسالة

فذهبت فاشتريت وانتقيت وتخيّرت ، ثم وضعت الطعام بين أيديهما فرأيته يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره ، ورأيته منبسطاً إليه وما لي عهد كان بانبساطه إلى أحد . وقد كنت أخبرته في ذلك النهار بخبر أحمد بن حنبل علمتُه من أدريس الحداد ؛ فانه لما زالت المحنةُ بعد أن ضُرب بين يدي المعتصم وصُرف إلى بيته ، حمل إليه مال كثير من سروات بغداد وأهل الخير فيها ، فردَّ جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيراً ، وهو محتاج إلى أيسره ، وإلى الأقل من أيسره ، وإلى الشيء من أقله ، فجمل عمُّه اسحق يحسبُ ما ورد في ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار ، فقال له الامام : يا عم أراك مشغولا بحساب مالا يفيدك . قال : قد رددت اليوم كذا وكذا ألفاً وأنت محتاج إلى حبة من دانق . فقال الامام : يا عم لو طلبناه لم يأتنا ، وإنما أتانا لما تركناه

* * *

قال المَازني : فنمت تلك الليلة وأنا أفكر في صنع الشيخ وقد تعلق خاطري به كيف انقلبت الحال معه ، وأي شيء هذه الحال ، وجعلت أكدُّ ذهني لأعرف الحقيقة العقلية التي سلّطت عليه هذه الضرورة فتسلط النعيم على نفسه ، وأنا أعلم أن للقوم علوماً روحانية ليست في الكتب ، فمنها ما لا يتعلمونه إلا من الفقر ، ومنها ما لا يتعلمونه إلا من البلاء ، ومنها ومنها ، ولكن ليس منها ما يتعلمونه من اللذات والشهوات ؛ وذهب قلبي إلى أوهام كثيرة ليس في جميعها طائل ولا بها معرفة ، حتى غلبتني عيناي وأنا من وهج الفكر نائمٌ كالمريض وقد ثقل رأسي واختلط فيه ما يُعقل بما لا يُعقل

فرأيت أول ما رأيت ملكا جباراً يحكم مدينة عظيمة وقد أطلق المنادي في جمع كل أطفال مدينته يجيء بهم من كل دار ، ثم رأيته قد جلس على سريره وفي يده مقراض عظيم قد اتخذه على هيئة نصلين عريضين لو وضعت بينهما رقبة لفصلاها عن جسمها ؛ فكان هذا الجبار يتناول الطفل من أولئك فيضع أصابع إحدى قدميه في شقّ المقراض فيقرضها فاذا هي تتناثر أسرع مما يقرض المقَصُّ الخيط ، ثم يرمي بالطفل مغشياً عليه ويتناول غيره فيبتر أصابعه والأطفال يصرخون ؛ وأنا أرى كل ذلك أملك إلا غيظي على هذا الجبار من حيث لا أستطيع أن أمـ فيه هذا الغيظ فأقرضَ عنقه بمقراضه

ثم رأيته يأخذ طفلا صغيراً ، فلما جاءت قدم الطفل بين المقراض صاح : يارب ، يارب ! فاذا المقراض يلتوي فلا يـ شيئاً وكأن فيه حجراً صلداً لا قدماً رخْصة . فتميز ا من الغيظ وقال من هذا الطفل ؟ فسمعت هاتفاً يهتف : هذا الحافي ! لا يبلغ تاج ملك في الأرض أن يكون لقدمه الحافية عند الله !

وكان إلى جنبي رجل يتوضأ وجهه صلاحاً وتقوى فقلت له : من هذا الطاغية ؟ ولم اتخذ المقراض لأقدام الأط خاصة ؟

فقال : ياحسين ! ان هذا الجبار هو ذل العيش ، وهذا و لأهل الحياة على الأرض يحقق به في الانسان معنى البهيمة أو ما يدب على الأرض حتى كأنه ذو حافر لا ذو قدم

قلت : فما بال هذا الطفل لم يعمل فيه المقراض ؟

قال : إن لله عباداً استخصهم لنفسه ، وأول علامته فيهم الذل تحت أقدامهم ، وهم يجيئون في هذه الحياة لاثبات القد الانسانية على حكم طبيعة الشهوات التي هي نفسها طبيعة الذل فاذا اطرح أحدهم الشهوات وزهد فيها ، واستقام على ذلك عقد نية وقوة ارادة ، فليس ذلك بالزاهد كما يصفه الناس ، ولكـ رجل قوي اختارته القدرة ليحمل أسلحة النفس في معارك الطاحنة ، كما يحمل البطل الأروع أسلحة الجسم في معار الدامية . هذا يتعلم منه فن وذاك يتعلم منه فن آخر ، وكلاه يرمي به على الموت لايجاد النوع المتميز من الحياة ، فأول فضائل الشعورُ بالقوة ، وآخر فضائل ايجاد القوة

* * *

قال المازني : وضرب النوم على رأسي ضربة أخرى فاذا أ في أرض خبيثة داخنة قد ارتفع لها دخان كثيف أسود يتضرب بعضه في بعض ، وجعلت أرى شعلاً حمراً تذهب وتجيء كأنها أجسام حية ، فوقع في وهمي أن هؤلاء هم الشياطين : ابليسُ

جنودُه وسمعتُ صارخاً يقول : يا بشرى ! فلتبك السماءُ على الأرض ، لقد أكل بشر الحافى من أطيب الطعام وأطيب الحلوى بعد أن استوى عنده حجرها ومدَرُها ، وذهبُها وفضّتها ! فعارضه صائح أسمع صوته ولا أرى شخصه : ويلك زَلَنْبور[1] ! إن هذا شر علينا من عامة نُسكه وعبادته . هذا ويحك هو الزهدُ الأعلى الذى كان لا يطيقه بشر ؛ إنه إعناتٌ سلّطه على نفسه ، فانى دفعتُ هـذا (المنازلىّ) الأعمى القلب فزين له ما فعـل أحمد بن حنبل من رده خمسين ألف دينار على حاجته ، زهداً وورعاً وقوةَ عزم ونفاذَ إرادة ؛ وقلت عسى أن يتحرك فى نفسه شهوةُ الزهد فيحسدَ أو يغار ، أو تعجبه نفسه فيكون لى من ذلك لَمّةٌ بقلبه فأوسوس له فأنا نأتى هؤلاء من أبواب الثواب كما نأتى غيرهم من أبواب المعاصى ، ونتورّع مع أهل الورع كما نتسخّف مع أهـل السخف ؛ ولـكن الرجل رجل وفيه حقيقةُ الزاهد ، فقد أعطى القوة على جعل شهوات نفسه أشخاصاً حية يعاديها ويقاتلها ، فاذا أنا جعلت شهوته فى اللذة قتل اللذة ، وإذا جعلتها فى الكآبة قتل الكآبة ، وليس الزاهد العابد هو الذى يتقشف ويتعفف ، ويتخفف ويتلفف ، فان كثيراً ما تـكون هـذه هى أوصاف الذل والحمق ويكون لها عمل العبادة وفيها إثم المعصية ، ولـكن الزاهد حقّ الزاهد من أدار فى الأشياء عيناً قد تعلمت النظر بحقه والاغضاءَ بحقه ؛ فهذا لا يخطىء معنى الشر إن ألبسناه عليه فى صورة الخير ، ولا معنى الخير إن زوّرناه فى صورة الشر ، وبذلك يضع نفسه فى حيث شاء من المنزلة ، لا فى حيث شاءت الدنيا أن تضعه من منازلها الدنيئة

وما أكلَ بشرٌ هـذه الطيبات إلا ليبادر بها وسوستى ويردّنى عن نفسه وعن اللّمة بقلبه ، فلو أنه أعجبه زهد ابن حنبل ونظر من ذلك إلى زهد نفسه لحبط أجره . فبهذه الطيبات عالج نفسه علاج مريض ، وقد غير على جوفه طعاما بطعام ، كما يبدّل على جلده ثوباً بثوب ، ولا شهوة للجلد فى أحدها

* * *

قال المنازلى : وثقل النوم على ثَقلةً أخرى فرأيتنى فى واد عظيم وفى وسطه مثل الطَّود من الحجارة قد ركم بعضُها على بعض . ورأيتنى مع بشر أقصُّ عليه خبر احمد بن حنبل ؛ فقال انظر ويحك ؛ إن الناس يسمونها خمسين ألف دينار وهى هنا فى وادى الحقائق خمسون ألف حجر لو أصابت أحمد لقتلتـه ولـكانت قبره آخرَ الدهر

إن المال يا بنى هو ما يعمله المال لا جوهره من الذهب والفضـة ، فاذا كنت بمفازة ليس فيها من يبيعك شيئاً بذهبك فالتراب والذهب هناك سواء . والفضائل هى ذهب الآخرة ؛ فهنا تجدد بالمال دنياك التى لا تبقى أكثر من بقائك ، وهناك تجدد بالفضائل نفسك التى تخلد بخلودها

ومعنى الغنى معنى ملتبسٌ على العقول الآدميـة لاجتماع الشهوات فيه ، فحين ردّ احمد بن حنبل خمسين ألفا ، يكون هذا الغنى قد صحح نفسه فى هذا العمل وجهاً من التصحيح

* * *

قال حسين المنازلى : وغطّنى النوم فى أعماقه غطّةً أخرى فاذا أنا فى المسجد فى درس الامام احمد وهو يحدث بحديث النبى صلى الله عليه وسلم : إذا عظّمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبةُ الاسلام ؛ وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حُرموا بركة الوحى . وهم أن يتكلم فى تفسيره[1] ولـكنه رآنى فأمسك عنه وأقبل علىّ فقال : ياحسين ! إذا اجتزأ شيخك بالرغيف فهذا عنده هو قدر الضرورة ، فان أكل الطيبات فقد عرضت حالٌ جعلت هذه الطيبات عنده هى قدر الضرورة . وفى هـذه النفوس السامية لا يكون الجزء الأرضىُّ إلا محدودا ، فلا يكون محصوله إلا ما تَوى من قدر الضرورة

ولما صغُر الجزء الأرضى فى نفوس الـذين الأولين ملـكوا الأرض كلها بقوة الجزء السماوى فيها ، إذ كانت إرادتهم فوق الأطماع والشهوات ، وكانت بذلك لا تذل ولا تضعف ولا تنكسر ؛ فالآدميـة كلها تنتهى إلى بعض صورهم هؤلاء الذين علّـهم فى أعلاها

(١) هذا اسم بعض ولد ابليس فيما يروى ، وفى بعض النسخ التى بأيدينا انه خنزب لا زلنبور ... ...

(١) سيأتى تفسيره فى مجلس آخر من مجالس ابن مسكين

أثر الحضارة الاسلامية
فى الاحياء الأوربى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

عصر الاحياء أو إحياء العلوم [1] من أعظم عصور التاريخ الأوربى ؛ وهو بلا ريب مطلع النور والعظمة فى حياة أوربا الحديثة وفى تكوينها السياسى والفكرى والاجتماعى ؛ وفى معترك الاحياء الساطع تذوب ظلمات العصور الوسطى التى خيمت على أوربا منذ سقوط الدولة الرومانية ، ويفتر ليلها الطويل عن حياة جديدة تسرى إلى جنبات القارة القديمة ، فتلقى من حولها غمر الماضى بقوة ، وتستقبل عصوراً جديدة من القوة والعظمة والسيادة فى جميع مناحى الحياة

وإنا لنشعر ونحن نستعرض تاريخ الأحياء أننا لا نتلو تاريخ أمم أو شعوب معينة ، وإنما نتلو صفحة من أنبل صفحات الانسانية تبهرنا بما حوت من المظاهر والمعانى السامية للعبقرية البشرية . ولقد كان تراث الأحياء وما زال تراث الانسانية كلها ذلك أن ثمرات التفكير البشرى هى ملك الانسانية فى كل زما[ن] ومكان ؛ ولم يكن تاريخ الاحياء مدى قرن ونصف فى معظم الدو[ل] الأوربية سوى تاريخ العلوم والفنون والآداب التى تفتحت [فى] ذلك العصر كما تتفتح الأزهار ، والتى بثتها إلى ظلمات العصو[ر] الوسطى أرواح وأذهان وعقول ارتفعت فوق العصو[ر] والمجتمعات التى ازدهرت بها ، وسمت عبادتها ومثلها كما سمت بعبقريتها

ولقد كتب تاريخ الأحياء مدى القرون وما زال يكتب [فى] كل عصر ؛ ولكنه يتخذ دائماً طابعه القومى أو المحلى ، وقلم[ا] يكتب من الناحيـة الانسانية المحضة ؛ وإنك لتشعر حتى ف[يما] يكتب عنه من الناحية الانسانية أن العوامل القومية والمحلي[ة] تتبوأ دائماً مكانتها وتتفشى فيـه كل نزعة أخرى ؛ وكثير[اً] ما تساءلت وأنا أستعرض هذه الصفحة الباهرة من تاريخ الانسانية ، كيف يغفل مؤرخو الغرب حين يكتبون تاريخ الأحيا[ء] عن استعراض صفحة أخرى من تاريخ الانسانية لا تقـل عن صفحة الأحياء قوة وجمالاً وروعة هى صفحة الحضارة الغربيـة الاسلامية ، وما كان لها من أثر بارز فى بعث عصر الاحياء الأوربى ؟

والحقيقة أن هذه الناحية من تاريخ عصر الأحياء كثيراً ما تغمط حقها وتنكر علائقها وآثارها فى بعثه وتكوينه . بيد أنها تستحق منا نحن الذين يفهمونها ويقدرونها عناية خاصة ؛ وليس يكفى أن نكتب تاريخ الحضارة الاسـلامية ، بل يجب أن نعالج آثارها فى تكوين مختلف المدنيات والحركات العقلية الأخرى ؛ ولقد كان الاحياء الأوربى حركة عقلية عظيمة ومطلع حضارة جديدة رائعة ، وكان لحضارة الغرب الاسلامى أثرها فى بعث هذه الحركة ، فمن واجبنا أن نستقصى هذا الأثر وأن نعرضه إلى جانب ما يعرض لنا من تطور حركة الاحياء الأوربى

ومن الصعب أن نحاول استعراض هذا الأثر فى مقال أو فصـل ، ولكنا نحاول فقط أن نلم ببعض أطرافه العامة ؛ وأخص ما يبدو هذا الأثر فى النواحى الفكرية والاجتماعية من

(١) الرنيصانس Renaiseance

يا حسين ؛ ألا وإن ردَّ خمسين ألف دينار هو كذلك قدرُ الضرورة

قال حسين : وذهبت أعترض على الامام بما كان فى نفسى من أن هذا المال وإن لم يكن من كَسْبِه ، فقد كان يتحول فى يده عملا من أعمال الخير ؛ وأنسيتُ أن هذه الصدقات هى أوساخ الناس وأقذار نفوسهم ، فلم أكد أفتح فمى حتى رأيت الكلام يتحول طيناً فى فمى ليـذكرنى بهذا المعنى ؛ وكدت أختنق فانتفضتُ أتنفَّس فطار النومُ والحلمُ

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

الى التلميذ العاشق : يابنى ان التلميذ الذى يعشق ويذهب يسأل عن الحب — إما أن يكون فاجرا فهو فى لعنة الله والملائكة ؛ وإما أن يكون خائبا فهو فى لعنة أبيه وأمه ، وإما أن يكون مهملا فهو فى لعنة الكتب والكراريس ...... وان استشارنى زدته لعنتى أنا أيضا

الرافعى

بعصر الأحياء ؛ ونلاحظ أن طوالع الأحياء ظهرت بادىء بدء بإيطاليا وبدت في الشعر بوجه خاص ، وحمل لواءها الأول شعراء عظام مثل دانتي وبترارك ، حاولوا أن يعيدوا مجد الشعر الروماني القديم ؛ ولم تكن هذه النهضة الشعرية الرائعة رغم اتجاهها إلى مثل ڤرجيل عميد الشعر الروماني خالية من تأثير المثل الشعرية في غرب أوربا . ذلك أن النهضة الشعرية التي أزهرت قبل ذلك بنحو قرن في بروڤانس (جنوب فرنسا) والتي كانت حركة « التروبادور » الأدبية في الشعر والقصص من أقوى مظاهرها ، كانت قد أحدثت آثارها في الحركة الأدبية في شمال إيطاليا حيث بزغ فجر الأحياء ؛ ولم يكن شعر دانتي بعيداً عن التأثر بعوامل الشعر البروڤنسي ووحيه ، بل لم يكن أسلوب دانتي نفسه بعيداً عن التأثر بالأساليب البروڤنسية ؛ ويرى علماء اللغة فوق ذلك أن اللغة الايطالية الحديثة والتي وضعت أسسها في عصر الاحياء قد تأثرت في تكوينها إلى حد كبير بالروح والتراكيب البروڤنسية القديمة ؛ ويشيد دانتي نفسه في بعض قصائده الكبرى بعبقرية زعماء الشعر البروڤنسي ومثلهم الشعرية ، ويرى في تيبول ملك ناڤار مثلاً أعلى للشاعر ؛ فهذه الظواهر والعوامل كلها تدلل على آثار النهضة الشعرية الغربية في شعر الأحياء

هذا ومن جهة أخرى فقد كان الشعر البروڤنسي ذاته عرضة لمؤثرات قوية ، من الجنوب فيما وراء البرنيه . وكانت الحضارة الاسلامية في الأندلس تنفث آثارها منذ القرن التاسع في شمال اسبانيا وفي غاليس (جنوب فرنسا) ، وكان أثرها بالأخص قوياً واضحاً في بروڤانس التي كانت مركز الحركة الأدبية في الجنوب منذ القرن العاشر ؛ وكانت بروڤانس ذاتها مدى حين مستقراً لبعض المستعمرات العربية الغازية التي حملت إلى تلك الأنحاء كثيراً من التقاليد والمؤثرات الاسلامية ، ولا سيما في شعر الفروسة ، بل لقد سرت هذه التقاليد والمؤثرات إلى الحركات الفكرية والأدبية في أنكبرده (لومباردى) ؛ فليس غريباً أن نستخلص من تفاعل هذه المؤثرات والعوامل كلها أن شعر الأحياء لم يكن في بدايته بعيداً عن التأثر بمؤثرات الحضارة الاسلامية ومؤثرات الشعر الأندلسي عن طريق الشعر البروڤنسي

ومما يبعث حقاً الى الدهشة أن نجد شبها عجيبا في الموضوع والخيال والتصوير بين « جحيم دانتي » وهي أعظم وأروع آثاره وبين أثر عربي أقدم هو رسالة الغفران للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري ، مما قد يحمل البعض على الظن بأن دانتي قد وقف بطريقة من الطرق على موضوع رسالة الغفران ، وقد كتبت قبل عصره بأكثر من قرنين ، ومع أن هذا الرأي لم يؤيد بصفة علمية واضحة ، الا أنه مما يلاحظ في تأييده أن كثيرا من علوم العرب وآثارهم العلمية والعربية كانت معروفة في شمال إيطاليا عن طريق البندقية منذ القرن العاشر الميلادي

هذا ونستطيع من الناحية العلمية العامة أن نقول أيضا إن بعث الأحياء الأوربي لم يكن بعيدا عن التأثر بمؤثرات العلوم الاسلامية ؛ فنحن نعرف أن الأندلس كانت منذ القرن التاسع الميلادي نبراس الغرب كله في العلوم ، ونعرف أن مدارس قرطبة واشبيلية وغرناطة كانت فيما بعد كعبة الطلاب من سائر أنحاء أوربا ، وأن النهضة العلمية في أوربا بدأت قبل عصر الاحياء على يد جماعة من الرهبان النصارى الذين تلقوا العلوم في مدارس الأندلس مثل جربرت الراهب الفرنسي الذي ارتقى عرش البابوية فيما بعد باسم سلفستر الثاني (سنة ٩٩٩ م) وآبيلار وهو أيضا راهب فرنسي تفقه في الفلسفة والعلوم المعاصرة وطار صيته في أوائل القرن الثاني عشر ؛ وكان أعظم ما يتلقى الرهبان العلماء — وهم يومئذ دعاة العلم في الغرب الأوربي — الفلسفة اليونانية عن طريق العلماء والفلاسفة المسلمين ، ولاسيما ابن رشد الأندلسي الذي كان أول من عرف العالم الغربي بالفلسفة الارسطوطالية ، وقد ترجمت شروحه المعتمدة من الفلسفة الارسطوطالية في المنطق وما وراء الطبيعة الى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر ، وكانت أساسا لكثير من المباحث الفلسفية التي ازدهرت أيام الأحياء الأوربي في شمال إيطاليا ، بل يرى مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الجدلية الأوربية استمدت من العرب والفلسفة العربية أكثر مما استمدت من قسطنطينية التي كانت مستودعاً لتراث المدنية اليونانية ؛ وليس من ريب في أن جهود العرب في ميدان الكيمياء والطب كانت أكبر مستقى للغرب في هذا الميدان ؛

فقد كانت الكيمياء الملية علما عربيا محضا ، وقد بلغت ذروة ازدهارها فى العصور الوسطى فى معامل قرطبة واشبيلية وغرناطة ، وكان أطباء الأندلس أساتذة الطب فى أوربا كلها ، واليهم كان يهرع الطلاب من سائر الأمم الشمالية ؛ وكانت مدرسة سالرنو الطبية فى جنوب ايطاليا تقوم على تراث الحضارة الاسلامية التى سادت صقلية وجنوب إيطاليا زهاء قرنين ؛ وكانت آثار الطب العربى تبدو فى هذا الميدان بصورة قوية بارزة ؛ ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بعض العلوم الأخرى مثل الفلك والرياضيات ، وقد بلغت أيضا فى الأندلس شأوا عظيما

والخلاصة أن آثار الحضارة والعلوم الاسلامية فى بناء النهضة العلمية الأوربية واضحة لا يمكن انكارها ؛ واذا استثنينا ميدان الفنون فى نهضة الأحياء ، فانه يصعب علينا أن نتصور ناحية من نواحى هذه النهضة الفكرية الرائعة ؛ سواء فى العلوم أو الآداب تبعد كل البعد عن التأثر بعبقرية التفكير الاسلامى ، سواء مباشرة أو بواسطة عوامل أخرى . بيد أنه مما يؤسف له أن هذه الناحية لا تلق فى المباحث الغربية ما يجدر بها من الشرح والتقدير ؛ ويلاحظ أن مؤرخ الاحياء الأوربى يكاد يغفلها بصفة مطلقه ، هذا فى حين أن مؤرخ العصور الوسطى لا يستطيع أن يغفلها

ولكن معظم مفكرى الغرب ومؤرخيه ما زالوا ينظرون الى تاريخ العرب والاسلام والحضارة الاسلامية ومؤثراتها نظرة خاصة قلما تنجو من مؤثرات الدين والقومية ، بل لقد درج فريق منهم على اعتبار العرب ضمن القبائل والأجناس البربرية التى حطمت صرح الدولة الرومانية ، واعتبار الغزوات الاسلامية لجنوب أوربا كوارث دينية وقومية ؛ ومازالت المباحث التاريخية تبالغ فى تقدير مؤثرات الحضارة الرومانية فى أمم العصور الوسطى وتعتبرها دائما عاملا حاسما فى كل تطور فكرى أو اجتماعى ، هذا بينما تراها تغفل تقدير الحضارة الاسلامية ومؤثراتها ؛ ويلوح لنا أن الوقت قد حان لنعمل من جانبنا على تصحيح هذا الموقف ، ورفع هذا الاجحاف الذى يلحق بتراث المدنية الاسلامية فى أوربا ، والتنويه بما لهذا التراث من الآثار الحاسمة فى المدنية الأوربية بوجه عام ، وبما له من آثار خاصة فى معظم الحركات الفكرية التى قامت فى أوربا خلال العصور الوسطى

بيد أنه من الانصاف أيضا أن نقول إننا نلمح فى بعض المباحث الغربية المستنيرة أثر هذا التطور فى فهم المهام الانسانية التى أدتها الفتوحات الاسلامية فى العصور الوسطى ، وفى تقدير التراث العظيم الذى خلفته الحضارة الاسلامية ، وما كان لها من آثار خطيرة حاسمة فى تطور الحركات العقلية والاجتماعية فى تلك العصور ؛ ومن الحق أن نقول إن بحوث أولئك العلماء المستنيرين قد رفعت كثيرا من الحيف والاجحاف والريب التى لحقت ذكريات العرب والاسلام فى أوربا من جراء الصور والروايات الخاطئة المغرضة التى ما زالت تقدم منذ أحقاب عن العرب والاسلام الى المجتمع الأوربى الحديث

محمد عبد الله عنان

ردوس الاسلامى المفقود

تحت قناطر جامع قرطبة

للشاعر الألمانى هنرى هين

(مهداة إلى الأستاذ الزيات)

ترجمة الأستاذ معروف الأرناءوط

محرر فتى العرب ومؤلف سيد قريش

« . . . أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت فى الماضى بيت الله . . . » « هنرى هين »

أرأيت ياسيدى السائح إلى مسجد قرطبة الجامع ! أرأيت إلى تلك العُمُدِ المرمرية وقد نهضت على قبابٍ فيحاءَ واسعة الأرجاء ؟

أرأيت إلى مفاتن الفنّ العربىّ وقد راحت تطفو على القباب والحنايا والقناطر ؟ أرأيت إلى سُوَرٍ من القرآن كيف أذابها الذكاء فى شتى الألوان ؟

فى سبيل الله ، وفى سبيل مجده الذى لا يَبْلَى قام هذا الصرحُ المُشمخرّ ثم تَنَكّرَ الزمن وتَجهّمتْ نواحيه ، فتنكرت الأشياء وجهمت المشاهد ، وأرعد فى الأفق الذى تسرب اليه صوت المؤذن حلوا صافياً ، صوتُ النواقيس ، وقام الرهبان يدعون فى أغانيهم الشجية الكئيبة إلى المسيح فى محراب كان إلى الأمس زهواً بالمؤمنين ، وامتلأت السُّوح بالدُّمى والتماثيل ، وتقاصرت ظلال الشمس أمام أنوار شاحبة تريقها الشموع والمصابيح !

* * *

وقف « المنصور بن أبى عبد الله » فى مسجد قرطبة تحت القبةِ المرمرية وهو يحدّق فى العُمُد والحنايا هادئاً ناعم الجأش ، ثم مضى يتخافت بصوته :

« أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت فى الماضى بيت الله ، ثم عدت اليك فرأيتك تظللين بيتاً غريباً ، ثم أصغيت اليك ، فاذا بك ترددين صلاة ما كانت لنُسّاكك الأولين !

لقد هَدْهَدَ الزمن حماسك ، وأطفأ كبرياءك ، فجمدت على خطبك الكريه ، وصبرت لبؤسك الأليم ، ولكن نفسى وقد صاغها الله من معدنٍ ضعيف مازالت — وارحمتاه لها — ملتاعةً أسوانة حتى أعجزها اليأس عن الصبر فما عادت تطيق شجنها الجاهد ! »

* * *

وانثنى الفتى العربىُّ إلى الماء المقدّس يمسح به رأسه ويغسل جبينه ، ثم جفا المسجد وراح إلى فرسه فنهض على ذؤابته فانطلق به يعدُو فى الطريق ، وأخذ الهواء المستفيض فى الأفق يعبَثُ بغدائره المُرْسلة ويلاعب ريش قبعته المطرّزة !

أشرف الفارس العربىّ على طريق القلمة حيث تجرى أمواه الوادى الكبير متطامنةً هادئة ، فبدت له الخضرة والرياحين والأعناب وشجر اللوز الباسق المهدّل وأزهار البرتقال الكاسية الضافية فلذّ الغناء فغنّى ، وراحت نغماته العِذاب تختلط بأغانى الطيور !

وإنه لكذلك إذا قصر القلمة يلوح له عن بعد ، فطفر إليه مستروحاً إلى غناء رقيق يستفيض من حواشيه !

فى هذا القصر عزلات هانئة آوت اليها « كلارا الفاريس » وهى فتاة طفّارة وثّابةٌ فارق أبوها مَغْناه إلى أرض « النافار » فاستَفْدَى الفَرَق فى المرح والأهواء خلال غيبته عن القصر !

وقف المنصور بن أبى عبد الله فى ناحيةٍ دانيةٍ من القصر وطفق يُصْغى إلى عَزِيف لذٍّ هادئ ، وقد بَهَرَتْهُ الأنوار وأشجته الأعراف ، فتمايدَ من الطرب ، وأمّ ناحية القصر يريد التوغّل فى جنّتيه بين ورده وأقحوانه !

وكان القصر يعج بالحسان والفرسان ، فزرف المنصور اليه فاذا هو بين الراقصين والراقصات والمغنّين والمغنّيات ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فاذا هو أملح فرسان هذه الليلة الساهرة شباباً وأعذبهم حديثاً ، بل لقد كان أمْضَاهمْ فى الاغراء والاستهواء ! ولما استوثق من فتون عينيه ، مضى إلى هذه الأسراب الناعمة الطفّارة ، يحدث غانية عن حُبٍّ أجَنَّهُ فى قلبه وَحَرَصَ ألا يذيعه إلا على مسمعها ، حتى إذا أمله العبث والمجون ، طفر إلى غانيــة أخرى فاحتبسها بين ذراعين محمومتين مشبوبتين ، ثم شعر بالملل فارتد عنها إلى ثالثة يعانقها ويخاصرها تحت قباب من المرمر ، ثم جفاها إلى أختها ملولا من هوى شديد التقلب !

وكان يمضى إلى حسناء من حسان القصر فيسألها إن كانت

عنه راضية ، وبه ناعمة ، ثم يومض بيديه وعينيه إلى صليب من الذهب يَخْطَف بريقه على صدره ، ويقسم للكاعب اللعوب أنّ مكانها من صدره مكان هذا الصليب ! وإنه لنصرانيتـه على وفاء غريب !

* * *

سكن القصر ، فسكنت فيه اللذّات والأهواء ، وانطفأت تحت قبابه الأنوار والأضواء ، وانقلب الفرسان إلى مضاجعهم صرعى هوى وصهباء ، وخلا القصر إلا من ربتـه الحسناء ، وفارسها العربيّ ذي البهاء ، وإلاّ من شموع ضعيفة السنا والسّناء !

جلست الحسناء الاسبانية إلى فراش ناعم وثير ، والفتى العربيّ جاثم على ركبتي الحبيبة ، صريع مسهد وأرق ، يُريدُ عينيه على إغفاءة لذيذة فتملّس هـــذه الاغفاءة اللذيذة من عينيه الضحوكين !

وإنه لسادرٌ في حمّى شديدة من أرق شديد ، إذا تلك الحسناء اللعوب تريق على غدائره ماء الورد من قوارير حفّت بالعجب ، وازينت بالذهب ، وهي بعد مزفوفة سكرى من الحبّ والطرب ، لقد كانت تفعل ذلك سادرة حيرى ، والفتى العربيّ غريق هواجس وأحلام ، وشهيد ذكريات وأوهام ، وكان صدره يلوح لها عندما مشبوبا تمزّقه الزفرات ، وتقطّعه الآهات !

ثم ابتعث الحبّ في قلبها سكراً فسلبها صحواً ، فأقبلت إلى فتاها تسعى ، وراحت تَلْثمُ شفتيـه وقد عادتا كالثّلج ، وهو في سبحه غريق حُبٍّ وهوى

وَحدّقت إليـه مبهوتةً واجمة ، فرأتْ على جبينه وقد عاد مسفوعاً مقروراً غمامةً بلون الدجى ! فشجيت حتى لقد هدّها الشجى ، وبكت وانصبّ دمعها على جفنيه فاستفاق رَاعِشاً من هذا الندى !

لقد هزّته وهو يَحْلم ! بل لقد كان يَحلمُ ! وقد رأى في حُلمه القصير كأنه لا يزال في مَسْجِد قرطبة الجامع ، وَخيل إليـه أنه لا يبرح يطوف بالماء المقدّس يغسل به جبينه كأنه غريقٌ في النصرانية وأشجاه هذا الذي تمثل ورأى ، وشعر بأن جوانب المعبد تميد ميداً ، وأن ألوف الأصوات أخذت تطفو على نفسه فلا يستطيع لها رداً !

ثم خيل إليه أنهُ يسمع قعقعة المُد ، وصليل القباب و... تهار ، كأنّ مسجد قرطبة الجامع قد عاف عيشه الخالي ، فتدا... مَغيظاً مُحنَـقاً

وتمثّل الناسَ والرهبان وآلهة النصرانيـة وقد طو... الأنقاض ، فاستفاق راعشاً ، وانطلق يعدو في القفر البعيـ... النواحي شاجناً ناشجاً ، وقد خلفَ حبّهُ في القصر يائساً

معروف الارناءوط

مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منهـا موضوعاً خاصاً علميـ... أوأدبياً ؛ وترمي بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعيا... والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت في ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية وأحياناً تؤلف في الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر في اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليا اسمه نظرة عامة في تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثاني) الآراء الحديثـة في علم الجغرافيا تأليف ل . ددلي ستامب وتعريب الأسـتاذ أحمد محمد العدوي مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـــذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا في الجامعة المصرية يبحث في سكان الكرة الأرضية من بني الانسان من حيث نشأة النوع البشري وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم في مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

لم يستطع بستور رؤية مكروب داء الكلب لصغره ومع هذا رباه في مخ الأرانب فتربى . وذلك بأن حقن لعاب كلب مسعور في أرنب ، ثم أخذ نخاع هذا الأرنب فحقنه في مخ كلب فمات . فعلم بذلك أن مخ الأرنب ونخاعه غذاء طيب يتربى المكروب عليه . واتجه مع أعوانه الشباب إلى تأنيس المكروب ليصنعوا منه لقاحاً ففشلوا ، ويئس الأعوان الشباب ، أما بستور الشيخ العاجز فلم تضعف عزيمته ولا قل رجاؤه

قال الشابان : « إنه يا أستاذنا لا فائدة من كل هذا » ، وأشارا بأيديهما في تخاذل إلى الأقفاص بحيواناتها الشلاء ، وإلى ركام الأنابيب والقوارير

فصوّب الشيخ عينه فيهما تصويباً شديداً ، وعلته جَهمة خالا معها أن شعره الأشيب الخفيف تصلّب واستقام ، وصاح فيهما : « أعيدا هذه التجربة نفسها مرة أخرى ، ولو أنها خابت آخر مرة . قد تتراءى لكما الحماقة في الذي أقول ، ولكنّ الشيء المهمّ الآن أن تظلا غامسَين أيديكما في الموضوع الذي أنتما فيه فلا تنسلاها منه فتنفضّا عنه » . هكذا أنّب بستور تلميذيه اللذين أسلما له من أمرهما المقاد ، وهكذا ظل ينخّسهما حتى يعيدا مرة بعد أخرى تجارب لا أمل فيها ولا رجاء . فهذا كان دأبه دائماً : تُعوِزه الحجة ، ويصرخ المنطق والحقائق غاضبة في وجهه ، ومع هذا يتشبّث بالتجربة المقيمة ، ويتفاءل جنوناً عن وحي الرأي العاديّ السليم ، ولكنه تشبثٌ وتفاؤلٌ يُفضيان أحياناً من طريق الخيبة إلى النجاح المأمول

لكأني بك تسألني لِمَ كان عقيماً محاولةُ تأنيس مكروب الكَلَب هذا ؟ ولِمَ وجبت إضاعة الرجاء في ترويضه ؟ أوَجَبَ ذلك يا سيدي أن تاريخ الانسان كله لم يذكر حالة واحدة أصيب فيها انسان أو حيوان بهذا الداء ثم اشتفى . إنْ هي إلاّ أعراضه تظهر على المريض ، وتبلغ جرثومة الداء إلى نخاعه ومخّه ، حتى يضيع فيه الرجاء . وأيّ جرثومة فتّاكة قتّالة ! وهذه الجرثومة يا سيدي هي التي حملها بستور وأصحابه عارية على أطراف مشارطهم تكاد تهمّ أن تسقط بالبلاء عليهم . هذه الجرثومة هي التي مصّها بستور وأعوانه في أنابيب الزجاج حتى بلغت إلى شفاههم إلاّ بوصةً واحدة ، وإلاّ قطعة من القطن فصّلت بينها وبين أفواههم

وفي ظلمة اليأس الذي هم فيه أشرقت بارقة من الأمل ؛ وفي صموت الكآبة التي هم فيها سمعوا نغمة موسيقية حلوة بعثت فيهم الرجاء . ذلك أنهم ذات يوم وجدوا كلباً من الكلاب التي حُقنت بالمادة الوبيئة شُفي بأعجوبة بعد أن ظهرت عليه أعراض الداء من ارتماد وعواء ، وبعد أسابيع قاموا في لهفة إلى هذا الكلب ، وهو أول مشتفٍ من هذا الداء ، فحقنوا الوباء في مخه حقناً ، ولكن ما أسرع ما اندمل جرح رأسه ! وتربّص بستور به الموت ، ولكن الموت لم يأته ، وظل أشهراً يلعب ناشطاً في قفصه وقد تمت حصانته كل التمام

قال بستور لرجاله : « الآن انفتح لنا ما استغلق ، وعلمنا أن لنا أملاً في النجاح . . . إن الحيوان إذا جاءه داء الكَلَب ثم اشتفى منه فلن يعود اليه هذا الداء من بعد ذلك . . . فلم يبق علينا إلا أن نجد طريقة لاضعاف الجرثومة وتأنيسها » . وأمّن رجاله على ما يقول وفي قلوبهم أن لا سبيل إلى تأنيس هذه الجرثومة أبداً

وأخذ بستور في اختراع تجارب مما لا يستطيعها الجنّ بَلْهَ البشر ، وانتثرت على مكتبه تخطيطات عِدّة منها كأنها الخط الهيروغليفي ، وكانت تجتمع عنده في صباح اليوم نتائج تجارب الأمس فيدعو اليه في الساعة الحادية عشرة صباحاً عَوْنيه رو وشمبرلاند ، فيقرأ عليهما خطة جامحة أخرى يختطّها ليصل بها تحسّساً في الظلام إلى هذه الجرثومة التي لا تُرى ولا تُنال رجاء أن يُضعفها ـ خطةً تأخذ بأصبعه إلى باطن الأرض فتحط به على رأس الجرثومة حطاً

كان يقول لهما بستور : « جرّبا هذه التجربة اليوم »

فيقولان له في اعتراض : « ولكن هذا غير ممكن عملاً »

فيقول بستور : « ومع ذلك أجْرياها ، أجرياها بالطريقة

التي تتراءى لكما بشريطة أن تحسناها »

كان مَثَل بستور في ذلك مثل بيتهوفن Beethoven ، يضمّن سنفونياته الموسيقية دوراً لا يلعبه إلا البوق وهو ليس عنده ، ولكنه لا يلبث بعد خلق الدور أن يخلق بوّاقاً . كذلك كان بستور في تلك الأيام يمعن في التجارب افتناناً ، ثم بعد ذلك يجد من ذكاء عونيه وحرصهما ضميناً لإنجاحها

وأخيراً اهتدوا إلى طريقة لتأنيس جرثومة الكَلَب ، وذلك بأن استخرجوا قطعة من نخاع أرنب مات من الداء ، ثم علقوها مدة أربعة عشر يوماً في قارورة لا تدخلها جراثيم الهواء ، فلما جفّت وانضمرت حقنوها في أنخاخ كلاب سليمة فاذا هذه الكلاب لا تموت !

قال بستور : « مات الجرثوم ! أو خير من ذلك أضعف إضعافاً كبيراً » ، وتلك النتيجة الأخيرة نطّ إليها بستور نطاً بلا سبب مقبول ولا مبرر معقول . قال : « والآن فلنجفّف قطعاً أخرى من النخاع الوبيء اثنى عشر يوماً ، ثم أخرى عشرة أيام ، فأخرى ثمانية ثم ستة ، ثم نرى أنستطيع بهذه القطع أن نعطي كلابنا قليلاً من الداء . . . إذن والله لتحصّنت منه

وأخذوا جميعاً في سبيل هذه التجربة الخالية ، ومضت أربعة عشر يوماً ذَرَع فيها بستور أرضَ المعمل رائحاً غادياً بين القوارير والمجاهر والأقفاص المنثورة فيه ، وعبّس وتسخّط ، وخطّ في كراسته الشهيرة ما شاء له الخاطران يخُطّ ؛ وفي اليوم الأول حُقنت كلابٌ بالنخاع الوبيء الذي جُفف أربعة عشر يوماً ، وفي اليوم الثاني حُقنت بالنخاع الأقوى وباء ، ذلك الذي جُفف في القارورة ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا إلى اليوم الرابع عشر وفيه حقنت الكلاب بالنخاع الذي جُفّف يوماً واحداً ، وبه وباء لا شك بقتل الكلاب لو أنها فوجئت به أول مرة

وظلوا جميعا يتنظّرون هذه الكلاب أياما شابت فيها رؤوسهم ، ولكنّ شيئا من داء الكلب لم يظهر عليها أبداً . فانبسطت أسارير هذه الأغوال الثلاثة التي قامت تحارب الموت فتكشّر له كالكشر . حقنوا في الكلاب أربع عشرة حقنة وبيئة فلم يصبها من الضرر قليل أو كثير . ولكن هل هي حقاً تحصّنت من الداء ؟

وخشي بستور ألا تكون ، فأجفل من ذكرى ضياع كل هذه الأعوام في عمل غير نافع . ولكأني بك تسمعه يقول لنفسه : « أنا اليوم شيخ عاجز ، والأيام تجيء فلا تزيدني عجزا ... » ، وكان لابد من إجراء التجربة الفاصلة الأخيرة وكان لابد لبستور أن يتجلّد على إجرائها مهما كانت عاقبتها كان لابد له أن يعلم أيحتمل هذه الكلاب بعد كل الذي جرى حقنة قوية غير مُضعَّفة من التي تحقن في الكلاب المائة السليمة فتقتل منها المائة

وذات يوم ثقب رو في رأس كلبين من هذه الكلاب ثم حقن فيه وباء قويا لم يُضعف . وفعل مثل ذلك في كلبين سليمين لم يُحقنا بحقنة أبدا

وبعد شهر أيقن بستور وأصحابه أن النصر أتاهم أخيرا بعد عمل ثلاث سنين . فالكلبان اللذان كانا حقنا أربع عشرة مرة ظلاً يجريان في قفصهما ويلعبان ولم يتوعكا أصلا ، أما الكلبان الآخران اللذان لم يتحصّنا فنبحا آخر نباح وماتا من الداء

إن لبستور له شخصيتان ، فهو مخلّص الأرواح ومحيّها في آن ، وهما شخصيتان دائما متنازعتان ، ودائما تجور أولاهما على أخراها . لذلك ما كاد يطمئن الى النتيجة العلمية التي خرج عليها من هذه الكلاب ، حتى دارت رأسه بالخطط الكثيرة يرسمها ليمحو بها داء الكلب من على ظهر هذه البسيطة . فكانت له في ذلك مئات المشروعات كلها سخيفة ، دار منها في عالم أدكن من الخيال ، وسلك فيها من الفكر سُبُلا كثر ضبابها واشتد ، فلم يستطع رو وشمبرلاند أن يخترقاه فضلاً فيه وضلّت فيه زوجه كذلك . وكان ذلك عام ١٨٨٤ ، وفي هذا العام نسي بستور مما هو فيه عيدَ زواجه ، فأساء هذا النسيان إلى زوجه ، وهي التي عانت في حياتها ما عانت ، فكتبت الى ابنتها تشكو : « إن أباك غارق في أفكاره ؛ وهو قليل الكلام ، قليل النوم ، وهو يستيقظ مع الفجر ؛ واختصارا هو يجري في هذا اليوم على نفس الأسلوب الذي جرى عليه منذ التقت حياتانا من خمس وثلاثين سنة كاملة »

ومن تلك الخطط الجامحة أنه رأى أن يحقن هذا المكروب المُضعّف في كل كلاب فرنسا في دفعة نابليونيّة واحدة . قال للبيطار الشهير نوكار Nocard : « يجب أن نذكر أن الانسان لا يصاب بداء الكلب أبدا إلا إذا هو عضّه كلب مكلوب

نحن محونا هذا الداء من الكلاب محوا كاملا . . . » فضحك
من قوله وهزّ رأسه إنكارا ، ثم قال له : « إن فى باريس
ها مائة ألف من كلاب وجراء . وفى فرنسا مليونان ونصف
من منها ، فاذا أنت أردت أن تحقنها كلها دفعة واحدة ،
تحقن كلا منها أربع عشرة حقنة فى أربعة عشر يوما ، فمن
لك بالرجال ؟ ومن أين لك بالزمان ؟ ومن أين لك ياعزيزى الأنخم
ا العدد من الأرانب ؟ بل من أين تأتى بأنخمة وبيئة تصنع
ا ألف لقاح فحسب ؟

وأخيراً طلعت على بستور فكرة بسيطة أخرجته من ورطته .
لنفسه : « ليست الكلاب هى التى نعطيها الألقحة ، بل
جال التى عضتها الكلاب . ألاّ ما أحصر ! ألاّ ما أيسر !
ن الكلب المسعور رجلا فلا يختمر الداء فيه ولا تظهر أعراضه
به إلا بعد أسابيع . . . إن الجرثومة إذن تستغرق كل هذه
أسابيع لتصل من مكان العضة الى مخّ الرجل . . . إذن نحن
نستطيع فى هذه الفترة أن نحقن فى الرجل حقناتنا الأربع عشرة
بذلك نحميه من المرض قبل اختماره . » وما أسرع ما دعا اليه
رو وشمبرلاند وقاموا بتجربة هذا الرأى فى الكلاب أولا

فوضعوا كلابا مريضة فى أقفاص واحدة مع أخرى سليمة
عضتها . كذلك جاء رو بكلاب أخرى سليمة وحقنها بحقنة
اتكلا من نخاع أرنب وبيء ، ثم جاءوا بجميع هذه الكلاب ،
المعضوضة والمحقونة بالوباء ، تلك الكلاب التى لاشك هى لاقية
حتفها إذا تُركت لشأنها ، فحقنوها جميعاً بالألقحة المحسّنة
الضعيفة فالأقل ضعفا حتى استنفدت أربع عشرة لكل منها ، فما
الذى كان ؟ كان الفوز كل الفوز ، فكل مخلوق من تلك الخلائق
صدّ عن نفسه فى استكمال وخفاء هجمة هذا الوباء . وبستور
الذى عانى من ألقحة الجمرة الذى عانى ، صاح يدعو الى تأليف
لجنة من خير رجال الطب فى فرنسا تقوم بامتحان تجاربه والحكم
لها أو عليها . وجاء حكم اللجنة فاذا به يقول : « إن الكلب
إذا حُصّن بأنخمة الأرانب الوبيئة التى ماتت من هذا الداء ،
بأن يُحقن بالتدرج بضعيف الوباء فالأقل منه ضعفا ، فهذا الكلب
لا يأتيه الكَلَب أبدا »

فتساقطت الرسائل على بستور من كل صوب ، رسائل هائلة
من كتب وتلغرافات جاءت تنصب عليه انصبابا من أطباء
مُداوين ، ومن آباء جازعين ، وأمهات واجفات يطلبن النجاة
لأطفال لهن عضتها كلاب مسعورة . حتى امبراطور البرازيل
العظيم تنازل من عليائه فكتب الى بستور سائلا راجيا .

ولن أحدثك كثيرا عن همّ بستور فى تلك الأيام ، وزاد همّه
ذكرُ ما كان قاساه من لقاح الجمرة . وشتان ما بين الجمرة
والكَلَب . ففى الجمرة إذا زادت قوة اللقاح عن القدر المقدور
ماتت شياه من جراء ذلك . أما هنا فى الكَلَب فخطأ فى التقدير
يفضى الى ضياع أرواح البرايا من رجال وأطفال . . . لم يقع أحد
من سيادى المكروبات فى حيرة مثل هذه ، ولم تقع عليه مسئولية
كتلك .. قال بستور لنفسه : « لم يمت كلب من كلابى بسبب
لقاحى أبدا . والذى عضّ منها حُقن بهذا اللقاح احتمى من
الداء احتماء كاملا . فلا شك أن الذى حدث فى الكلاب يحدث
فى الانسان ... ولكن ... »

ومرة أخرى عاود الأرق هذا البحّاثة المسكين من أجل أنه
كشف كشفاً بلغ من الابداع مبلغا بعيدا ، فكان يرقد على ظهره
فى سريره وينظر فى كُتَل الظلام التى فوقه فيرى فيها خيالات
من أطفال تصرخ فى طلب الماء لحلوق جافة مختنقة بالداء ، وأولُ
شىء يأباه وتختنقه هو هذا الماء ، ويخال أنه هو الذى جاءها بداء
الكَلَب بسبب خطأ فى لقاحه فيُجفل من تلك الخيالات إجفالا

ومرّت به ساعة عاوده فيها حب المباغتات على نحو ما يجرى
على المسارح من المفاجآت ، فأراد أن يكون بطل الدرامة ، فكتب
الى صديقه القديم فرسيل Jules Vercel يقول : « أميل كثيراً الى
أن أبدأ بنفسى فأحقنها بهذا المكروب القاتل ثم أدفع فعله
بلقاحى ، فقد والله بدأت أحس فى قلبى الثقة بنتائجه »

ولكن رحمة الله به ساقت اليه أخيراً من حلّ فى التجربة
محلّه فوقته شر ما اعتزم عليه فى أمر نفسه : جاءته امرأة من
الألزاس تسعى اليه دامعة العين ، ودخلت معمله تجر وراءها
ولداً لها اسمه يوسف فى التاسعة من عمره جرحه كلب مسعور
فى أمسه الأوّل أربعة عشر جرحاً ، وكان ينشج بالبكاء ، وقد
ملأه الرعب وارتعدت فرائصه فلم يكد يستطيع سيراً

صاحت الأم راجية : « سيدى بستور ، أنقذ ولدى ! »

فسألها بستور أن تعود اليه فى مساء اليوم ، وقام هو لزيارة
طبيبين يدعى أحدهما فلبيان Vulpian ويدعى الآخر جرانشيه

مراسلات :

ابن بسام صاحب الذخيرة

والشاعر أبو مروان الطُّبْني

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

وما دمنا قد ترجمنا للفتح بن خاقان صاحب مطمح الأنفس وقلائد العقيان ، وقد بان لك من هذه الترجمة أن ابن بسام كان معاصراً للفتح ، وأنهما يتشابهان من وجوه شتى إن لم يكن منها إلا أنهما كليهما تصديا للكلام على أدباء عصرهما وشعرائه لكفى ؛ نقول ما دام الأمر كذلك كان جميلا بنا أن نردف ترجمة الفتح بترجمة ضريبه ابن بسام ....

وسيمر بك قريباً ما تتعرف به سبب ذكرنا الشاعر أبا مروان الطُّبْني مع ابن بسام في ترجمة واحدة ....

« ثم وأما بعد » فانا إلى هذه اللحظة التي نترجم فيها لابن بسام لم نعثر لأحد على ترجمة قد عقدها له وأفردها للقول عليه ، وإن كان مؤرخو الأندلس وغير مؤرخي الأندلس كثيراً ما ينقلون عن هذا الأديب كعمدة لهم ، وثَبَت فيما يماحون من تاريخ أدباء الأندلس ، حتى أن المقرى ذكره في نحو من أربعين موضعاً من نفح الطيب ولم يفرد له على ذلك ترجمة ، وكذلك كثيراً ما ينقل عنه ابن خلكان وغير ابن خلكان ....

ومن غريب الأمر في هذا الباب ، ومن سوء حظ الأديب ، بل من تخبط الناس في أمره ، أنك ترى النسخ الخط للذخيرة في دار الكتب سواء أكانت المكتوبة بخط م أم المنقولة عنها بخط مصري قد غُمّ على نساخها وشبه ل واختلط الليل بالنهار ، فظنوا أن صاحب الذخيرة هو ابن المعروف بالبسّامي الشاعر الهجاء البغدادي المتوفى سنة ث وثلثمائة ، ونقلوا ترجمة هذا الشاعر من ابن خلكان ك وألصقوها بصاحب الذخيرة ، وصدق فيهم بهذا التخبط ا قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرَكَ الله كيف يلتق
هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان

وأَبْعَدُ من هذا في باب التخبط والتخليط أن خطبة الذ الحقيقية كما سيمر بك (١) . وقد مر على واضعي فهرس الكتب هذا التخليط فلم يتفطنوا اليه ، وظنوه صحيحاً ، و إن الذخيرة هي لابن بسام المعروف بالبسامي الشاعر الخ الخ و نتفاً من هذه الخطبة المفتعلة ، وإن كان لهم في هذا الصنيع المعذرة . . . « وبعد » فانا على هذا كله سنقدم اليك صورة مُصَغَّرة لهذا الأديب الأندلسي العظيم لقد التقطنا أجزا من ههنا وههنا

***

أزلفنا في ترجمة الفتح أن أبا الحسن علي بن بسام صاح الذخيرة كان في زمن الملثمين — يوسف بن تاشفين وأولاده — وزدنا أن حياته امتدت إلى أيام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن رأس دولة الموحدين الذين أديل لهم من الملثمين وآضوا بذا ملوك المغرب والأندلس ، إذ جاء في نفح الطيب (٢) ما نصه « وتأخرت وفاته — أي وفاةُ ابن بسام — الى سنة ٥٤٢ » ويتب من هذا أن ابن بسام عاش بعد الفتح بن خاقان نحواً من سب عشر عاماً . . .

***

ولد ابن بسام في شنترين وهي بلدة من الكُوَر الغرب البحرية من أعمال بطليوس ، ومن ثم يقال له الشَّنْتَريني ومن مؤرخي الأندلس من يقول الشَّنْتَمَري نسبة الى بل

(١) وسيمر بك أيضا أن المنتحل هو جانب من هذه الخطبة وهو شطرها الأول (٢) ج ، ص ٣٠٩ طبع أوربة

Grancher ، وكانا من أحبابه ونُصرائه ، وكانا في معمله فرأيا فيه كيف استطاع أن يخلص الكلاب من بلواها بعد أن عضتها كلاب مسعورة عضاً شديداً ، وفي المساء ذهبا معه إلى الطفل فلما رأى ولبيان جروحه عابسة متقيّحة ألحّ على بستور أن يقوم بتلقيحه توّاً . قال : « قم يا رجل وابدأ علاجك ، فانك إن لم تفعل مات هذا الغلام لا محالة »

وفي هذه الليلة ، الليلة السادسة من يوليو عام ١٨٨٥ ، حُقنت أولُ حقنة من لقاح الكَلَب في آدميّ ، وقضى الطفل أربعة عشر يوماً أخذ فيها أربع عشرة حقنة من ابرة تحت الجلد فلم يصبه سوء ، ثم عاد إلى الالزاس فلم يأته بعد ذلك عرض من أعراض هذا الداء المخوف أبداً

في العدد القادم : آخر مقال عن بستور

أحمد زكي

دلس في الشمال الشرقي لقرطبة يقال لها شنتَ مَرِيّه (١)
ى مريم المقدسة) ، وفي هذه البلدة يقول الأديب النحوى
محمد بن السيد البطليوسى :

كرت الدنيا لنا بعد بُعدكم
وحفّت بنا من معضل الخطب ألوان
حت بنا في أرض شَنْتَ مَرِيّةٍ
هواجس ظن خان والظنُّ خوّان
ظلنا سَوامَ الحمد عنها لغيرها
فلا ماؤها صدّا ولا النبتُ سعدان (٢)

ولم يحدثنا المؤرخون عن مولده ونشأته ، ولا عن مشيخته كيف تعلم ، فلا علينا إذا نحن تخطينا هذا واكتفينا بالكلام ليه من ناحية منزلته الأدبية وإيراد شيء من منظومه ومنثوره القول على أثره الخالد كتاب الذخيرة ...

كان أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة أديبا كاتبا شاعرا ، وكان المنثور أغلب عليه من المنظوم ، مثله في ذلك مثل الفتح ، فكان منثوره فائقاً بارعاً جيلا وإن كان يغلب عليه السجع كسائر معاصريه ، أما شعره فقد كان دون نثره . ومما عثرنا عليه من شعره أبيات أوردها العالم الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى الأندلسى المتوفى سنة ٦٢٩ في رسالته البديعة التي يفضل فيها الأندلس وأهل الأندلس على بر العُدوه ـ مراكش ـ وأهل بر العدوه ، قال الشقندى : وهل منكم من يقول مناديا لنديمه ، وقد باكر روضا بمحبوب وكأس ، فألفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى ذلك وهو أبو الحسن بن بسام :

ألا بادر فلا ثانٍ سوى ما — عهدت الكأس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا — تغص به الحديقة والمدام
فإن الروض ملتثم إلى أن — توافيه فينحط اللثام

وجاء في نفح الطيب ما نصه : « وقال أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة ، وشهرته تغني عن ذكره ، ونظمه دون نثره ، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز :

أبا بكر المجتبىَ للأدب — رفيع العماد قريع الحسب
أيلحن فيك الزمان الخؤون — ويُعرب عنك لسان العرب
وإن لم يكن أفقُنا واحدا — فينظمنا شمل هذا الأدب

أصدّقتَ أن منظومه دون منثوره ؟ إذن لا تتوهم من ابن بسام الأديب الكاتب شعراً من النسق الأعلى ، وهكذا شأن أكثر الكتاب كما نبهنا إلى ذلك في كلامنا على الفتح بن خاقان ؛ وكذلك ترى أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون المنثور ، وأظنك لا تجهل ما أورده العلامة ابن خلدون في مقدمته شرحاً لهذه الظاهرة : ويبدو لنا ان لابن بسام شعرا كثيرا في أكثر أبواب الشعر لم يتيسر لنا الوقوف عليه ، يدل على ذلك تلك الأبيات التي يقولها الشاعر الوشاح الأندلسى أبو بكر بن عبادة القزّاز في ابن بسام وهي :

يا منيفاً على السماكين سامى — حزت خصل السباق عن بسام
إن تحك مدحة فأنت زهير — أو تشبب فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر (١) — أو تبكي الديار فابن خذام (٢)
أو تذم الزمان وهو حقيق — فأبو الطيب البعيد المرامى

وعلى هذا فلنضرب عن ابن بسام الشاعر ، ولنعرض لابن بسام الكاتب ولأثره الفذ الخالد كتاب الذخيرة . . .

***

نقول إن ابن بسام يمتاز من الفتح بأشياء : أهمها أنك لا ترى في أسلوبه ذلك التقعّر وتلك الطنطنة التي تراها في أسلوب الفتح ، وإنما ترى أسلوبا هادئا متزنا رصينا جيلا ؛ . وأنك ترى ابن بسام ناقدا بارعا كثيرا ما يُعقّب على ما يختار تعقيبا يدل على تمكنه ورسوخه في الأدب ، ومن ثم كان أكثر من الفتح تقييدا ، وعلما مفيدا ، . . وأنك تراه أعفّ لسانا ، وأنزه بيانا من الفتح ، فلا ترى منه ذلك الاقذاع الذي تراه من الفتح . واليك نموذجا من تراجمه هو مصداق لما نقول ، وهو ترجمته للشاعر الأندلسى أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطُبْني (٣)

(يتبع) عبد الرحمن البرقوقي

(١) Saint merry (٢) صداء بئر ليس عند العرب ماء أعذب من مائها . وفي المثل ماء ولا كصداء ، والسعدان نبت ينبت في سهول الأرض من أطيب مراعي الابل وفي المثل مرعى ولا كالسعدان

(١) هو امرؤ القيس (٢) شاعر جاهلي قديم قال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لعلنا — نبكي الديار كما بكى ابن خذام
(٣) الطبني نسبة الى طبنة . قال ياقوت : بلدة في طرف أفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير . . الى أن قال وينسب اليها أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني شاعر أديب لغوى الخ

قصة واقعية :

أعرابيّ في حمام ...

للأستاذ علي الطنطاوي

صحبنا في رحلتنا البرية إلى الحجاز ، دليل شيخ من أعراب نجد ، يقال له « صُلَبيّ » ما رأيت أعرابياً مثله ، قوة جنان ، وفصاحة لسان ؛ ولولا مكان النبرة البدوية من لسانه ، لقلت قد انصرف الساعة من سوق عكاظ لبيان لهجته ، وقوة عارضته ، وكثرة ما يدور على لسانه من الفصيح ... وكان أبيّ النفس ، أشم المعطس ، عالي الهمة ، كريم الطباع ، لكن فيه جفوة الأعرابي ...

رافقنا أياماً وليالي ، فما شئنا خلة من خلال الخير إلا وجدناها فيه : كان يواسينا إذا أصبنا ، ويؤثرنا إذا أضقنا ، ويحمينا إذا هوجمنا ، ويحرسنا إذا نمنا ، ويقنع إذا قسمنا ، ويشكر إذا أعطينا ، ويصبر إذا منعنا ، ويعذر إذا اعتذرنا ، ويعفو اذا أسأنا ، ويلين إذا اشتددنا ، ولا يشتدّ إذا لنّا ... على خفة روح ، وسرعة جواب ، ونكتة حاضرة ، وشجاعة نادرة ... قلنا له مرة :

ــ إن « صُلبة » في عرب اليوم ، « كباهلة » في عرب الأمس ، قبيلة لئيمة خسيسة ، يأنف الكرام من الانتساب اليها ، وأنت فيما علمنا سيد كريم ، من سادة كرام ، وليس لك في هذه القبيلة نسب ، فما بالك تدعى « صُلبيّ » ولا تغضب ؟

ــ فقال : صدقتم والله ، ما أنا من « صُلبة » ولا « صُلبة » مني ، وإني لكريم العمّ والخال ، ولكن لهذا الاسم قصة أنا قاصّها عليكم

ــ قلنا له : هات

ــ قال : كان أبواي مُشْكِلَين لا يعيش لهما ولد ، فلما رزقا بي تاسع تسعة ماتوا جميعاً ، وأعجزتهما الحيلة ، احتسبا عند الله مصيبتهما بذل الاسم ، وسمياني صُلبيّ

ــ قلنا : أن سمياك صُلبي عشت ؟

ــ قال : نعم ! إن عزرائيل أكرم من أن يقبض روح صُلبي ؟ وأرفع من أن يمسه بيد ...

ــ وسألناه مرّة : هل أنت متزوج يا صُلبي ؟

ــ قال : لقد كنت متزوجاً بشرّ امرأة تزوجها رجل ، ما زلت أحسن اليها وتسيء إليّ حتى ضقت باحتمالها ذرعاً فطلقتها ثلاثاً وثلاثين

ــ قلنا : إنها تبين منك بثلاث ، فلم الثلاثون ؟

ــ قال : صدقة مني على الأزواج المساكين الذين لا يجدو ما يطلقون ...

وطال بنا الطريق إلى تبوك ، وكاد ينفد ما كان معنا من ماء وخشي القوم الموت ، فأقبلوا كلهم على صُلبي ، يتذمرون من بُعد تبوك وطول الطريق ، فتركهم حتى إذا نفض كلّ جعبته قال لهم ضاحكاً :

معكم الحق ، إنها بعيدة ، ولكني أقسم لكم بالله إني لم أضعها أنا هناك ... وليس لي في بعدها يدان

ولم يكن صُلبيّ يعرف المدن الكبيرة ، ولم يفارق الصحرا قط إلا إلى حاضرته تبوك (وتبوك قرية فيها ستون بيتاً ... فلما بلغنا ــ قافلين ــ مشارف الشام ، أغريناه بدخول المدينة وجعلنا نصف له الشام : رياضها وأنهارها ، وعظمها وعمرانها قيأبى ؛ وكنت صفيّه من القوم وخليله ونجيّه ، فجعلت أحاوله وأداوره وبذلت في ذلك الجهد ، فلم أصنع معه شيئاً ، لما استغرق نفسه من كراهية المدن وسوء الظن بأهلها ... فتركناه مرغمين ، وودعناه آسفين !

* * *

وعدت إلى دمشق ، فانغمست في لجة الحياة ، وغصت فيها إلى أذنيّ ، ونسيت صُلبيّ وصحبته ، وكدت أنسى الصحراء وأيامها ؛ ومرّت على ذلك شهور ... وكان أمس ، فلمحت في « باب الجابية » وسط الزحم الهائل وجهاً أعرفه ، فذهبت أنظر اليه ، فاذا هو وجه صُلبي بعينه وأنفه ... فأقبلت عليه مسروراً :

ــ صُلبي ... هذا أنت ؟

ــ قال : لا صُلبي ولا صُلبي ...

ــ قلت : لم ويحك ؟

ــ قال أنا في طلبك منذ ثلاث ، ثم لا تأتي إليّ

ــ فقلت له ضاحكا : وأيّ ثلاث ، وأي أربع ، وأي

ى ؟ أتحسبها تبوك فيها ثلثمائة انسان ؟ إنها دمشق ياصاحبي ا ثلثمائة ألف نسمة ، فأين تجدني بين ثلثمائة ألف ؟ . . .

قال : صدقت والله !

وأخذت بيده فاستخرجته من هذه الزحمة ، وملت به إلى ى (مقهى) قريب ، فجلسنا فيه ودعوت له بالقهوة العربية شامي فسر وانطلق يحدثني ، فقال :

لما فارقتكم ورجعت أسير في هذه البادية وحيداً ، شعرت رحشة وحننت إلى هذه الأيام التي قضيتها معكم ، فاستعبرت ملت ألوم نفسي وأقول : يا نفس ما كان ضرك لو أجبت وم ووردت الشام فرأيت مالم ترى ؟ ... وانصرفت إلى أهلي ف ثت فيهم شهراً ، ثم دعاني الأمير فارتحلت اليه ، فاذا عنده ط من أهل الحضر يريدون دليلا ، فسرت معهم أدلهم حتى ت بهم مشارف الشام ، فدعوني وألحوا عليّ فاستجبت لهم خلوا بي دمشق ...

فلما بلغنا « الميدان » وصرنا بين البيوت ، رأيت سيارة كسياراتكم تلك ، لكنها أكبر وأضخم ، ولها نوافذ وفيها رف ، وقد خطوا لها خطين من حديد فهي تمشي عليهما ، فقال احبي : هذا هو الترام ، فتعال نركب فيه

قلت : لا والله ما أحب أن أركبه

فزينوه لي وحببوه إليّ ، حتى استحييت منهم لطول ما يسألونني رأيي ، فدخلت ويدي على خنجري إن رأيت من أحد ما أكره وجأته به ، وعيني إلى النافذة إن رابني أمر قفزت الى الطريق ، وجلست حذراً ، فما راعني إلا رجل بثياب عجيبة ، قد شق إزاره شقاً منكراً ، ثم خاطه حول فخذيه ، وارتدى برداء ضيق ، قد عمد اليه فصفف في صدره مرايا صغيرة من النحاس ما رأيت أعجب منها ، فبدا كأنه قرد ... ولم أدر ما هو ، ثم رجع إليّ ما عزب من عقلي ، فقلت رومي مجنون من هؤلاء الروم الذين يحكمون الشام ، وخفت إن أنا لنت له أن يسطو عليّ ، فسللت خنجري لأغمده في صدره إذا هو انتهى اليّ ، فقام إليّ صاحبي يقول :

— مالك يا سلمي ، ماذا عراك ؟

— قلت : ألا ترى الرومي المجنون ؟

— قال : أيّ روميّ يا سلمي ؟ وأيّ مجنون ؟

— قلت : هذا ؟ أما تراه ؟

— قال : هذا جابي الترام

— قلت : جبّك الله ! !

وسكت فقد أقبل هذا القرد على صاحبي ، فمد اليه يداً كأنها حجر الرحى ، فوضع فيها من جُبنه قرشين ، فأعطاه بهما فتاتة ورق فما رأيت و لله صفقة أخسر منها ، وعجبت من صاحبي إذ يشتري بقرشين اثنين ورقة ما تصلح لشيء ، ولكني جلست صامتاً ، وما هي إلا هنيهة أخرى حتى أقبل علينا رجل كالأول ، رومي خبيث ، إلا أنه أجمل ثياباً وأحسن بزة ، فأخذ هذه الأوراق فمزقها ... فثارت ثائرتي وقلت : هذا والله الذل ، فقبح الله عربياً يقيم على الضيم ، ويرضى أن يسام الخسف ... وقمت اليه فلببته وقلت له : يا ابن الصانعة ... أتعمد الى شيء اشتريناه بأموالنا ، ودفعنا فيه قروشنا فتمزقه ، والله لأمزقنّ جلدة وجهك ....

وحسبت صاحبي سيدركه من الغضب لكرامته ، والدفاع عن حقه مثل ما أدركني ، فاذا هو يضحك ، وإذا الناس يضحكون لما يرون مني ، لأن عمل هذا الرجل ـ فيما زعموا ـ تمزيق أوراق الناس التي اشتروها بأموالهم !

ولما نزلنا من هذه الآفة ، قال لي صاحبي :

— هلم الى الحمام ؟

— قلت : مالي وللحمام ؟

— قال : تغتسل وتلقي عنك أدران السفر

— قلت : إن كان هذا هو الحمام ، فمالي بالحمام من حاجة ، حسبي هذا النهر أغطس فيه فأغتسل

— قال : هيهات ... إن الحمام لا يعدله شيء ، أو ما سمعت أن الحمام نعيم الدنيا ؟

— قلت لا والله . ما سمعت :

— قال : إذن تسمع وترى . وأخذني فأدخلني داراً قوراء في وسطها بركة يتدفق منها الماء فيذهب صعداً كأنه عمود من البلور ، ثم ينثني ويتكسر ويهبط وله بريق ولمعان : صنعة ما حسبت أن يكون مثلها إلا في الجنان . وعلى أطراف الدار دكك كثيرة مفروشة بالزرابي والأرائك والتكآت كأنما هي خباء الأمير . فلم نكد نتوسطها حتى وثب الينا أهلوها وثبة رجل

واحد يصيحون علينا صياحاً غريباً ، ويصرخون صراخ من به مسّ ، فأدركت أنها مكيدة مدبرة ، فانتضيت خنجري وصحت بهم : مكانكم ، فوالله لا يدنو مني رجل إلا قطعت رقبته . . . فأحجموا ، وعجبوا ورعبوا ، فقال صاحبي : إنه مزح . ومال عليّ يعاتبني عتاباً شديداً ، فقلت : أفلا ترى صنيعهم بنا ، أفتحب أن ندعهم حتى يأخذونا ، قال إنهم يرحبون بنا ، ويسلمون علينا لا يريدون حرباً ولا قتالا

فصدقته وأغمدت الخنجر ، وظن القوم أنه المزاح ، فعادوا إلى حركاتهم وضجّتهم ، يدورون حولنا بقباقيبهم العالية ، ويجيئون ويذهبون ، وأنا لا أدرى ما هم صانعون ، حتى قادونا إلى دكة من هذه الدكك ، وجاءوا ينزعون عنا ثيابنا ، فتحققت أنها المكيدة وأنهم سيسلبونني خنجري حتى يهون عليهم ، فقد عجزوا أن ينالوني وبيدي الخنجر فأبيت وهممت بالخروج . فجعل صاحبي يكلمني ويحلف لي ، حتى أجبت واستسلمت ، والموت أهون عليّ من أن أنزل عن سلاحي ، وأمنحهم سلبي حتى يسلبوني ، ولكنها المدينة دار الذل والمهانة ، وليست بالصحراء ، ولو أني لقيتهم في الصحراء لجعلتهم طعمة الوحش والطير ... حتى إذا تم أمر الله ولم يبق عليّ إلا الإزار ، أرادوا نزعه عني ، فقلت : أما من مسلم في هذا البلد ؟ أما من عربيّ ؟ أتكشف العورات فلا يغير أحد ، ولا يغضب إنسان ؟

فهدأني صاحبي ، وقال : أفتغتسل وأنت متزر ؟

قلت : لعن الله نظافة الجسم إذا كانت لا تأتى إلا مع نجاسة النفس ، ويحك أتراني أضيع ديني وشرفي وأنكشف بعد هذه الشيبة ، وتذهب عني في العرب ، فتكون فضيحة الدنيا والآخرة ؟

قال : ومن أنبأك أنك ستنكشف ؟ هلا انتظرت ؟

ودعا غلاماً من أغلمة الحمام فقام دوني يسترني ، ستره الله ، حتى خلعت إزاري واتزرت بإزار أبيض أعطونيه ... وكان صاحبي قد تعرى كما تعريت فأخذ بيدي فأدخلني إلى باطن الحمام ، فإذا غرف وسطها غرف ، وساحات تفضي إلى ساحات ، ومداخل ومخارج ملتوية معوجّة يضلّ فيها الخرّيت ، وهي مظلمة كالقبر ، قد انعقدت فوقه قباب فيها قوارير من زجاج ، تضيء كأنها النجوم في الليلة الداجية ، وفي باطن الحمام أناس جالسون إلى أجران ضخمة من الصخر ، عرى لا يسترهم شيء ،

فعلمت أنهم من الجن . وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، وجعـ ألتمس آية الكرسي فلا أجدها ، فأيقنت لما نسيتها أن منهم لا بدّ راكبني ، وجعلت أبكي على هذه الشيبة أن تـ سخرية صبيان المدن ... وإني لكذلك وإذا بالخبيث يعود إليّ أن ينزع عني هذا الإزار الذي كسانيه ... فقلت : ويل أمها ما ألأمكم ! أتأخذون ثيابي وسلاحي ، ثم تضنون علي بثوب يستر الرحمة يا مسلمون ، الشفقة يا مؤمنون ! أأفتضح في الانس والجـ

ووثب الجن علي وأحدقوا بي وهم عرى ، تقفّ والله بدني ، وامتلأت فزعاً ! فقال صاحبي وهو يضحك : أعـ الأزار ، لقد أضحكت الناس علينا

قلت : ويحك ، وهل أبقى عريان ؟ قال : لا ، سنعـ غيره . إن هذا جديد يفسده الماء

فاستخذيت وأطعت ، وما خوفي إلا من هؤلاء الجن أن يـ على أحدهم فيحرقني ، أو يدفعني دفعة فيلقيني وراء جبل قاف

ودخلت إلى مقصورة من هذه المقاصير ، فجلست إلى ا حزيناً كئيباً لا أعلم ماذا يجرى علي ، فبينما أنا على تلك ا — وإذا يجيئني عار كأنه قفص عظام ، له لحية كشوك السعدان وددت أنها عشاء لجملي . . . وقد تأبط ليفاً غليظاً — يا ما تأبط ! — وحمل ماعوناً كبيراً يفور فوراناً فتشهدت واستغفـ وعلمت أنه السم ، وأنه سيتناثر منه لحمي — وقصد الجنيّ إليّ فجعلت أفر منه ، وأتوثب من جانب إلى جانب ، كأنني دجـ تفر من سكين الجزار وهو يلحق بي ضاحكا ، ويعجب من ويظن أني ألاعبه وأداعبه ، وصاحبي يقسم لي أنه الصابو

— قلت : وما الصابون لا أمّ لك — أمصابون أنتم في عقولكم هذا هو السم ، لقد عرفته . . .

— قال : لا وأبيك إنه الصابون ، ولا ينظف شيء مثـ

— قلت : ألا شيء من سدر ؟ ألا قليل من أشنان ؟

— قال : والله ما أغشك بجرب ، ونطق الجنيّ فإذا والله كلام الناس ، وإذا هو آدمي من أمثالنا ، فاطمأ وجلست بين يديه ، وأقبل علي يدلكني دلكا شديداً ، أنظر هل تساقط لحمي ، هل تناثر جلدي ، فلا أحد إلا خـ فظننت أنه قد أحسن إلي ، وهممت بشكره ، لولا أني ظفر شيخ سوء من القوم الذين أهلك الله ، فقد كان يتغافلني و

له من تحت الأزار ، فيمس لحذى وساق ، فقلت : لو نجا منه حد ، لأبحتني هـذه الشيبة ، وجعلت أهم بهشم أنفه ، وهتم أسنانه ثم أدعه ، حتى انتهى وصبّ على الماء سخنا ، فشعرت والله كأنما نشطت من عقال ، وأحسست الزهو والخفة ، فصحت فأنكرت صوتى ، فقلت : ما هذا ؟ أينطق على لسانى جنى من الجن ؟ وأعدت الصيحة فازددت لصوتى انكارا ، فاستخفنى الطرب وجعلت أغنى وأحدو ، فقال لى صاحبى : هل استطبت صوتك ؟

قلت : إى والله ، قال : أفلا أدلك على باب القاضى ؟

قلت : فض الله فاك . مالى وللقاضى ؟ هل أحدثت حدثاً ؟ هل آويت محدثاً ؟ هل . .

قال : ألا تعرف قصة جحا ؟

قلت : لا والله ! فمن جحا ؟ وماهى قصته ؟

قال : كان جحا عالماً نحريراً ، إلا أن فيه لوثة ، وكان خفيف الروح ، فدخل الحمام مرة فغنى فأعجبه صوته ، فخرج من فوره إلى القاضى فسأله أن ينصبه مؤذناً ، وزعم أن له صوتاً جميلاً ، لا يدخل أذن رجل إلا حمله حملاً فوضعه فى المسجد

فقال له القاضى : فقم على المنارة فأذن نسمع ، فقام فأذن ، فلم يبق فى المسجد أحد إلا خرج هارباً يتعوذ . . .

فقال له القاضى : أى صوت هذا ؟ هذا الذى ذكره الله فى الكتاب

قال : أصلح الله القاضى ، ما يمنعك أن تبنى لى فوق المئذنة حماماً ؟

* * *

ولمح « صاحبى » أعرابياً من أهل نجد يمر فى الطريق ، فقال لى : انتظر ! وخرج يعدو وراءه . . . .

. . . . ثم لم يعد !

على الطنطاوى

وقائع كأنها قصص

السر

بقلم محمد مصطفى حمام

دخلت على الباشا والمجلس حافل والسرور شامل ، فلقيني بما عود زائريه من بشاشة وترحيب ، وأقبل بعدي آخرون يختلفون أعماراً وألواناً ، فمنهم الشيخ العتيق المحطم والفتى الأنيق المنعم ، ومنهم الحضري الناعم والفلاح الخشن ، فتقبل الجميع بقبول حسن ، وأفاض عليهم من عطفه مثل ما أفاض علي

وجاء الخادم يبشر بزائر جديد شعرت عند سماع اسمه بكثير من السرور ، فهو اسم أحد السراة الظرفاء الذين سمعت عنهم دون أن ألقاهم ، وما كان أشوقني إلى هذا اللقاء !

ولم ينتظر الزائر اذن الباشا بالدخول ، بل أقبل في أثر الخادم ، وإذا نحن نستقبل رجلا سمهري القامة ، بهي الطلعة ، وافر الحظ من المهابة والروعة ، ولقد اهتز له المجلس تعظيما وإكباراً ، إلا الباشا فلم يعبأ بمقدمه ، ولم ينشط لاستقباله ، بل صافحه وهو لاصق بكرسيه ، ثم أشاح بوجهه عنه ، وأقبل بالحديث على سواه

وأخذتني من هذا اللقاء السيء دهشة وعجب ، وجعلت ألتمس للأمر كثيراً من العلل

قلت لنفسي : قد يكون القادم من الأنسباء أو ذوي القربى ، فلا حاجة بصاحب الدار إلى المبالغة في تكريمه ، أو لعل اقتحامه المجلس دون انتظار الاذن هو الذي أغضب الباشا عليه

ورأيت جو المجلس قد أظلم بعد استقرار الضيف الجديد في مكانه ، وبدا على الباشا ضيق وضجر ، وحاول الرجل أن يظفر من صاحب البيت بلفتة إليه ، أو إقبال عليه ، فلم ينل إلا جفاء وإعراضاً

ثم انحنى على الباشا يحاول أن يسر إليه حديثاً ، فنهره كما ينهر السائل ، وصاح به وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

لقد انقطع ما كان بيني وبينك ، فلا تعكر صفاء مجلسي بقدومك ، ولا تحاول استرداد مودتي فذلك ما لن يكون

وانصرف الزائر خاسئ البصر ، لا يكاد يرى مما حوله ش وودعناه راثين لحاله ! وأخذ المجلس يتبدد ، حتى لم يبق إ وصاحب الدار ، فلما هممت بالانصراف استبقاني

قال الباشا : لعلك أسأت الظن بأدبي ؟

قلت : معاذ الله

قال : أظنك في دهشة من سوء لقائي لضيفي ، وربما أ أن تعرف السر

قلت : لا أرى في معرفته بأساً

قال : لا يزال الصديق محبباً إلى قلبك ، رفيع القد في عينك ، حتى تكشف لك الأيام منه عن عورة لا تستط الاغضاء عنها ، فمالك يومئذ من ذنب إذا سقط عندك مقدا وتمكن من نفسك احتقاره

هذا رجل صاحبني خمسة أعوام كاملة ، ملأ في خلا جوانب قلبي ، واستأثر دون الأصدقاء بحبي ، وجمعت ب مجالس بعضها لله وبعضها للشيطان ، وفي أمثال هذه المجالس أ بالمال وأكون المتلاف المبذال

وكان هذا الرجل زميلي في كل هذه المجالس ، ودليلي ا في أكثر الأحيان

وقادني إلى بيت في حي من أجمل أحياء المدينة ، نادمنا ف نسوة ثلاثاً كأنهن الحور العين ، فقطفنا منهن ورد الخدود وداعبنا غصون القدود ؛ وصار هذا البيت معهد غرامنا نسعى إ بين الحين والحين ، ولكن في جنح من الليل ، وفي غف من الجيران

وما هي إلا أشهر معدودات ، حتى علمت علم اليقين أن هذ البيت الذي نعبث بنسائه ونلهو ، هو بيت صاحبي دون سواه وأن نديماتنا هن امرأته وقريبتاه ! هن اللائي نناز لهن ونقبلهن وهن اللائي ينلن مني أجر العبث بهن ، أدفعه سخياً كريماً ، ويتقبلنه راضيات فرحات !

ولقد أخذني من هذه الحقيقة المذهلة هول وفزع ، فقد تكشف لي صديقي عن نفس خبيثة وعرض ممزق !

قلت : فهلا كاشفته بما علمت من دخيلته ؟

قال : لقد كان عذره أقبح من ذنبه ، فقد أفهمني أنه وقد

نظرية النسبية الخصوصية

البحث الثالث

مبادئ الميكانيكا الحديثة

للدكتور اسماعيل احمد أدهم
عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ١ —

لقد قررت سنّة لورانتز فى التقلص أن سرعة النور أقصى سرعة يمكن أن توجد فى الكون ، وهذه السنّة نتيجة لكون سرعة الجسم كلما أخذت فى الزيادة أخذت كتلتها تتقلص من اتجاه حركتها بنسبة رياضية ثابتة ، حتى إذا ماقاربت سرعتها سرعة النور بلغ التقلص حداً لا متناهياً ، لا يمكن أن يتقلص الجسم المتحرك بعده . فلو فرضنا جسما يتحرك بسرعة معينة ولتكن (س) ، فهذا الجسم حسب قانون التقلص يتقلص بمقدار ثابت مثل (ث) ومقدار هذا التقلص :

$$\text{ث} = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{\text{س}^2}{\text{ن}^2}}}$$

ولا يمكن أن تتجاوز السرعة (س) فى أى وقت سرعة النور (ن) لأن هذا القانون يتلاشى إلى حيث لا يكون له معنى [1]

لنفرض كتلة مادية مثل (ك) مقدار طاقة الحركة التى بها (ط ع) ، وهذه الكتلة تتحرك بسرعة مثل (س) ، فهذه الكتلة تقرر قواعد الميكانيكا الكلاسيكية أن طاقتها الحركية :

$$\text{« ط ع »} = \tfrac{1}{2}\,\text{ك}\,\text{س}^2$$

غير أن مبادئ النسبية استناداً على قوانين المجال الالكترومغناطيسى ، ونظرية « ماكسويل — لورانتز » تقرر أن

$$\text{ط ع} = \frac{\text{ك}\ \text{ن}^2}{\sqrt{\text{ن}^2 - \text{س}^2}}$$

فمقدار حركة الكتلة المادّية (ك) لا يمكن أن تتجاوز فى سرعتها سرعة النور . حيث أن سرعة الكتلة المادّية المرموزة لها بالرمز (س) تستنفد فى حركتها جزءاً من مقدار طاقة الحركة (ط ع) حتى إذا ما بلغت سرعة النور سرعتها تكون الطاقة قد استنفدت كلها [2]

— ٢ —

لو فرضنا قوتين : سرعة الأولى (س) وسرعة الثانية (س_1) وأن هاتين النقطتين أثرتا على نقطة مادّية فى اتجاه واحد . فتكون سرعة هذه النقطة المادّية محصلة هاتين السرعتين ولنرمز بالرمز (س_2) فقانون الحركات الكلاسيكى يقرر أن

$\text{س}_2 = \text{س} + \text{س}_1$ « معادلة ١ » وهذا القانون النيوتونى يتبدل عند اينشتيجا ويتشكل فى صورة رياضية أخرى تقررها المعادلة :

$$\text{س}_2 = \frac{\text{س} + \text{س}_1}{1 + \frac{\text{س}\,\text{س}_1}{\text{ن}^2}} \quad \text{معادلة ٢}$$

وهذه الصيغة الجديدة نتيجة لمبدأ ثبات انتشار النور [3]

فمثلا لو فرضنا نظاما ماديا يبتعد عن الشمس بسرعة ١٣٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية ، فشعاعة النور الصادرة من الشمس والتى

(1) M. A. Sommerfsld : Physik Zeitschrift, 8 (1907) P. 842—843.

(2) Levr Civita : « L'Enseiguement Mathematipue » Rome 1926 p. 155-156

(3) Ω. Maumann : « Aunalen der Phijsik » 45 (1914) P. 525

عرف فىّ البعد عن الجريمة المنكرة ، وجرّب علىّ القناعة بالقبلة والمنادمة ، وشهد سخائى فى البذل ، رأى أن يؤثر نفسه ونساء بيته عالى ، فهو وهن أحق بذلك المال الذاهب هباء ، والملق إلى أناس آخرين ، ولم يجد فى الأمر ثلماً للعرض ولا نقصاً من الشرف ، مادام النزل لا يصل إلى نهايته الأثيمة !

* * *

وتراءت فى عينى صورة الرجل حين رأيته لأول مرة ، وقارنت بين جمال المنظر وسوء المخبر ، فذكرت قول الشاعر :

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم
إذا كانت الأعراض غير حسان !

محمد مصطفى حمام

تتحرك نحو هذا النظام بسرعة ٢٠٠,٠٠٠ كم في الثانية تكون سرعتها بالنسبة لراصد في النظام المادي :

٣٠٠,٠٠٠ كم + ١٣,٠٠٠ كم = ٣١٣,٠٠٠ كم في الثانية حسب مبادىء الميكانيكا الكلاسيكية . أما قواعد النسبية فتقرر أن سرعة شعاعة الضوء للشاهد حسب قانون تركب السرع كما تقرره الميكانيكا الحديثة هي :

$$\frac{٣٠٠,٠٠٠ + ١٣,٠٠٠}{١ + \frac{٣٠٠,٠٠٠ \times ١٣,٠٠٠}{٣٠٠,٠٠٠^{٢}}} = ٣٠٠,٠٠٠ \text{ كم في الثانية}$$

وهذه النتيجة توضح لنا تماماً أن سرعة النور سرعة مطلقة لا تتغير [١]

— ٣ —

إن علم الحركات « Cinematique » يرى في الزمان حداً رابعاً للمادة ، ولكنه لا يخرج عن كونه مجرد ملاحظة رياضية ، حيث أن الزمان مطلق ومستقل عن المكان ، وقد كان أستاذنا هنرى بوانكاريه الشهير يفرض أن الزمان بعد رابع موهوم للمادة ويستند في إثبات ذلك على الرياضيات الثابتة Invariant إلا ألبرت اينشتين ومينقوفسكي تمكنا من إثبات أن الزمان له شأن طبيعي كحد رابع للحوادث [٢]

إذا فرضنا وقوع حادثتين غير معينتين وكان الخط الواصل بين الحادثتين (غ) مثلاً . فانتقالنا من نظام إلى آخر لا شك سيؤثر في الخط الواصل بين الحادثتين وسيتأثر الخط بانتقالنا ويتغير (راجع مقال وحدة قوانين الطبيعة)

وإذا كان الزمان الفاصل بين أوان وقوع الحادثتين « ت » مثلاً ورمزنا لسرعة الضوء بالرمز (ض) كان معنا المادلة

ف^{٢} = « ض^{٢} ت^{٢} » — غ^{٢} (معادلة ١) ، وهذه المادلة ثابتة لا تتغير حيث فيها (ف) رمز لفاصلة الزمان المطلقة ، والحادثات

ك ، ى ، ض ، ت ؛ ك$_{١}$ ، ى$_{١}$ ، ض$_{١}$ ، ت$_{١}$ لو طبقت على قانون التحويل الذي وضعه لورانتز كانت النسبة بين مجموع حوادث الكونين ثابتة حيث أن :

(1) Edham (I A) die Grundlangen der Relativitaetstheere', Leipzig 1934-1935 Uol 3., P.92-93

(2) M. A. Sommerfeld : Annalen der Physik, 44 (1914) P. 175 — 177

ف^{٢} = ض^{٢} (ت$_{١}$ — ت)$_{٢}$ — (ك$_{١}$ — ك)$_{٢}$ — (ى$_{١}$ — ى)$_{٢}$ = (ض$_{١}$ — ض)$_{٢}$ (معادلة ٢) فاذ ليس الزمان بذلك الوجود المستقل عن المكان بل إنه مندمج فيه ، وليس الزمان والمكان مطلقين بل هما نسبيين إلا أنهما يندمجان في الفاصلة الثابتة الرياضية (ف)

ليس للزمان ولا المكان شأن طبيعي وإنما إندماجهما يو معنا حقيقة واحدة . فالمكان امتداد الزمان ، أعني أن فواص حوادث العالم تندمج في (ف)$_{٢}$ الثابتة الرياضية وتكوّن وحد هو كون « الزمان — المكان »

هذا الكون[١] لا يتبع نسب وقياسات الحوادث ، بل « مطلق فلكل حادثة أو مجموعة من الحادثات مكانها وزمانها الخاص بها . أما كون « الزمان — المكان » فهو ذو حقيقة مطلقة غ تابعة لقواعد القياس . والمكان في حد ذاته ليس إلا مجموعة فواص الحوادث ، فواصلها الفراغية المتساوية أعني أنه قطاع لله في زمان خاص ، أو بلغة أبسط هو العلاقة الانتشارية بين الحادثات واندماج المكان بالزمان في الثابتة الرياضية (ف) ، توج علاقة ثابتة بين الحوادث هي الفرق بين مربع الفاصلة الفراغ وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية . هذه العلا تؤلف بين الحادثات وحدة ممتازة تحيل الكون عالما مطلقا م منه الصفة المطلقة الوحيدة [٢]

— ٤ —

لنفرض [٣] نظاما ماديًّا مثل (ظ) يتحرك حركة نسبي إ ض إ ى نظام مثل (ظ$_{١}$) ولنفرض أن (غ) خط ثابت بالنسبة للنظام الثاني متحرك بالنسبة للأول بسرعة محدودة لنرم لها بالرمز (س) فطول هذا الخط بالنسبة لشاهد في النظا الأول غيره بالنسبة لشاهد في النظام الثاني

ولنفرض أن (غ) يمتد من النقطة « م » إلى النقط (م$_{١}$) فستبدو كل نقطة حادثة مستقلة عن الأخرى لكل من الشاهدين . وسيرى الشاهد الذي في النظام « ظ$_{١}$ » الحادثين متواقتين . أما الشاهد الذي في النظام (ظ) فان (غ) ستبد

(1) Fritz Beer : Die Einsteinsche Rehalivitaetstheorie , Wnin 1909 6 . 118 — 119

(٢) شارل مالك : « القضاء ــ الزمن » مقتطف يناير وفبراير ١٩٣٢

(2) Edhem (I. K.) ; Türk Ansiklopedia., Istanbul nesriyati. 18 cilt., 1935 (5) . P. 355 — 356. Izaflyat prnsipi.

أطول مما تبدو للمشاهد الذى بالنظام (ظ١) كما وأن كل نقطة من نقطى الابتداء والانتهاء ستبدوان له حادثتين مستقلتين عن بعض غير متواقتين

ولنفرض أن المحورين « ل م ؛ ل١ م١ » منطبقين على بعضهما كل الانطباق وأنهما موازيين استقامة السرعة (س) للخط (خ) فى كل من السكونين (ظ) و(ظ١) فاذا كانت المحاور

م ل ، م ى ، م ھ .... (١)

موازية للمحاور

م١ ل١ ، م١ ى١ ، م١ ھ١ .... (٢)

فى كل من النظامين (ظ) و (ظ١) كان :

ل١ = ث (ل — س ت) معادلة رقم (١)

ولا بد من أن يكون :

ل١ = ث ل معادلة رقم (٢)

ليتحقق معنا تعادل المركز (م) مع الزمان (ث) ومن انطباق المركز على الزمان نستنتج أن

ل = ل١ / ث معادلة رقم (٣)

وهنا نؤدى إلى أن :

ا / ث = √(... س٢ / ح٢) معادلة رقم (٤)

حيث أن ا رمز لمعادلة التقلص

ولما كان المقدار العالى أصغر من (ا) كان ل١ ل١ [1]

إن الخط (خ) بالنسبة للمشاهد الذى بالنظام (ظ١) أطول مما هو بالنسبة للنظام الأول . ومسئلة تقلص الأطوال شيئاً فشيئاً كما تقرره ميكانيكية لورانتز ليست راجعة لتقاص الأجسام فى اتجاه حركتها وإنما هى نتيجة لنسبية الأطوال . وليس هذا التقلص حقيقياً بل هو ظاهرى حيث أن الواجب لا يمكنه ترتيب حدوث الحادثات كما تقع وإنما يرتبها حسب ما تتراءى له . وتقسيم الزمان والمكان تقسيما مطابقاً لموضوعها فى صورة مستقلة عن بعضها لا يمكن إجراؤها فى أى حال حيث أن سرعة اندفاع الجسم إذا بلغت سرعة انتشار النور أو ما قاربها بلغ التقلص أقصاه ولم يصبح للجسم عمق لدى النظر ، لأن الأجسام عند ما تبلغ من السرعة هذا الحد تلوح كصفائح رقيقة [1]

وحاصل القول إن الأطوال تابعة لحالات المشاهدين الطبيعية من الحركة والسكون

— ٥ —

لنفرض [2] ساعة فى النظام (ظ) . فهذه الساعة سيبدو إشعارها للزمان متأخراً بالنسبة لساعة النظام (ظ) فهذا التقاص فى الزمان نتيجة للملاقة بين (ت ، ت١) حيث أن :

خ ت = ث خ ت١ معادلة (١)

ولما كان تقلص الأطوال نتيجة للقانون :

خ ل = خ ل١ / ث معادلة (٢)

فقليل من البحث والاستفاضة فى الدرس يكشف عن تساوى كل من :

خ ل خ ت = خ ل١ خ ت١ معادلة (٣)

حيث أن

خ ل ، خ ى ، خ ھ ، خ ت = خ ل١ ، خ ى١ ، خ ھ١ ، خ ت١ معادلة (٤)

ونخرج من هذا التساوى بحجم الجسم فى عالم ذى أبعاد أربعة أو طوله فى ذلك العالم

« للبحث بقية » اسماعيل أحمد أدهم

(1) J. A. Schouten; Die direkte analysis zur neueren Relativitaetsiheorie., Amesterdam. 1919. P. 128 — 129.

(2) Hermemm Weyl Raum . Geitumd Materie . Berlim 1921 . P . 235

(١) راجع البحث الثانى عن قوانين لورانتز التحويلية وانظر الشكل

(٢) ص ٩٧ بالعدد ١٣٣ من الرسالة

رسائل حاج

٤ — من ربوع الغـــرب
إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

تتمـــة

وقف جلالة الملك ابن السعود فوق ذروة « جبل الرحمة » كرمز خالد لعبقرية الأمة العربية ، يذرع الفضاء بعين نسر جبار ، ويشرف على راحة الحجاج الضاربين خيامهم فى السهول المجاورة . لكم كان منظره فاتناً خلاباً ، والشمس تكتنفه وتشرق عليه ، بينما يلتف حوله الحرس الوهابى بملابسهم المزركشة وخناجرهم التى تلمع مقابضها فى وهج الظهيرة

وقبيل الغسق تحرك الركاب الملكى شطر « المزدلفة » فظهر فى الجو غبار كثيف امتزج بصيحات الوهابيين الذين كانوا يهتفون : « نحن أنصارُ التوحيد ، إخوة من أطاع الله » وليس لأى كاتب مهما بلغت عبقريته أن يصف هذا المنظر وصفا شافيا ، ومن لى بالفصاحة والبيان لأصوره على حقيقته ؟

وعند وصولنا الى « منى » ، بلغ مسامعنا نبأ محاولة اغتيال الملك ، فان ابن السعود ما كاد ينتهى من طوافه للمرة الثالثة حتى داهمه أربعة من اليمنيين وهم يصيحون بأعلى أصواتهم : الله أكبر ! الله أكبر ! محاولين أن يطعنوه بخناجرهم . فان لليمنيين مهارة وحذقا خاصا فى استعمال الخناجر ، لكنهم لم يصيبوا سوى ولى العهد وهو يهم بانقاذ أبيه . ثم حمل الجنود على الجناة وحاولوا أن ينزعوا سلاحهم . ولما لم يفلحوا اضطروا إلى رميهم بالرصاص ، وأريقت دماؤهم فوق ثرى هذه الأرض المقدسة . وكان الملك الذى طالما خاض غمار حروب ومعارك حتى لم يخل جسمه من شبر واحد من آثار الجروح ، هادئا ساكنا فلم تبدُ على وجهه أمارات الجزع ، بل قصد لساعته بئر ز فتوضأ ، ثم عاد الى اتمام طوافه بالكعبة

وكان للحادث أثره المؤلم فى نفوس الحجاج ، فاستنك بشاعة الاغتيال ، وتوغل بعض القتلة فى الصفوف فخشى يحدث فرارهم ذعرا فى القلوب . ولقد أحسن الملك صنعا بعو السريعة الى منى ليزيل ما علق بنفوس الحجاج من الرعب فانه ما كاد يستقر فى سرادقه حتى هرعت اليه جموع الحج ووفود البلاد لتقدم تهنئتها بنجاته من يد الآثمين . سنحت الفرصة لأن أقف وجهاً لوجه أمام العاهل العربى ال يحكم بلاده بالعدل والشريعة ، ويسودها بالعطف والمحبة ؛ كان ابن السعود يجلس فى سرادقه تحيط به ثلة من الحرس النجد وهم من صفوة الرجال الأشداء ، وكانت ملابسهم المزرك تخطف بسناها الأبصار ، يتوج رؤوسهم العقال البدوى ، وتت من تحته ضفائر الشعر الكثيف الأسود حتى تصل إلى صدور بينا أقداح القهوة العربية وأكواب الليمون المثلج تطوف على الو بين حين وآخر . وعند ما غشيت مجلس الملك كان الخطي الماثل بين يديه قد انتهى من خطابته ، فلما التقى طرف الم بطرفى أومأ إلىّ أن أتقدم ، فجمعت شجاعتى وأنا فى نشوة رو عميقة ، ورفعت يدى إلى رأسى إجلالا واحتراما ثم تقدمت

لقد قابلت فى شبابى وأنا فى استامبول ، السلطان عبد الحميد ورافقت السلطان محي الدين فى إحدى سياحاته ، وزرت السلط رشادا ، وتحدثت إلى كثير من الرؤوس المتوجة فى أوربا ، لكن لم أشعر مطلقاً أنى وقفت وجها لوجه أمام التاريخ إلا فى تل المقابلة ، لا سيما عند ما رفعت عينى إلى وجه ابن السعود ، ولمح فى ثناياه دلائل الحزم والقوة والشفقة والحنان والمهابة والجلال ولقد لاحظت أن بطرف عينه اليمنى حولاً ، بينما العين الأخرى قو سليمة ، والمعروف عن الملك أنه شجاع مقدام ، تضرب القبائ بشجاعته المثل ، فعند ما كان فى الحادية عشرة من عمره ، قاتل إحدى المعارك خصما له فقضى عليه بضربة من حسامه ؛ وه رجل شديد الايمان بالله ، ولقد كان إيمانه من أقوى الأسباب تأسيسه المملكة السعودية وإحياء مجد الجزيرة العربية

وما كدت أقف أمام الملك حتى خاطبته بصوت جهوري ف

ل معانى الاخلاص : السلام على أمير المؤمنين ، إننى أحمد الله
، نجاتك من يد ذلك القاتل الأثيم عدو الدين

ومدّ إلىّ ابن سعود يده فصافحتها ثم طلب إلى أن أزوره فى
أمره ؛ وبعد أن شهدت حفلة الاستعراض العسكرية التى أقيمت
بوادى الشهداء » ورأيت ضروباً من الفروسية العربية ، تلك
الفروسية التى خلقت من الحب أدباً عالياً ومن المرأة صنما معبوداً
اتجهت إلى القصر الملكى بناحية « المعلى » بالضواحى ، وهو
من عظيم شامخ البنيان ، يشبه الحصون العسكرية ، ويشتمل
على عدد كبير من الغرف المتسعة الأرجاء والردهات والابهاء
ات العمد

وجاءت بقاعة الاستقبال ، فى انتظار التشرف بالمقابلة ،
فسرنى أن التقيت بكثير من أعيان العرب ، الذين يأتون للمثول
بين يدى الملك بملابسهم الفخمة ، فيحادثهم كانسان يستشير
أخوته ، ويرسم معهم كل ما يتعلق بسياسة الدولة وتدبير وسائل
الرفاهية والراحة للحجاج . ولقد راعتنى البساطة التى ألفيتها
متمثلة فى الملك والشعب معا ، فالرسميات المعقدة التى تتبع فى بلاط
ملوك أوربا لا وجود لها فى هذا البلاط العميق الديموقراطية .
والواقع أن ابن السعود هو عاهل الجزيرة العربية بلا منازع ، ولم
يؤل الملك اليه عن طريق الوراثة ، بل آل اليه من جدارة
واستحقاق

وطفقت أستوعب الدقائق إلى أن يحل دورى فأتشرف
بالمثول بين يدى الملك ؛ وكنت فى خلال فترة الانتظار جالساً
فى مكتب سعادة فؤاد بك حمزة وزير الخارجية ، الذى ذكر لى
أنى أول حاج قدم إلى مكة من بلاد المجر ؛ وما كاد يحل دورى
حتى تقدمنى فؤاد بك حمزة وغشينا مجلس الملك ، وبعد أن
صافحته أومأ إلى أن أجلس بجواره ، وقدمت إلينا القهوة ، فرأيته
يرشفها بشغف ولذة . ثم بدأ الملك يتحدث إلى فقال : « لقد
قدمت من نجد إلى الحجاز وجبت البلاد من الشرق إلى الغرب
لزيارة بيت الله وتفقد حالة الحجاج . وغاية ما أرمى اليه أن أؤلف
بين قلوب رجالى متوسلا إلى الله أن يلهمنى وإلهام الصواب فى
أعمالنا . لقد عنيت عناية خاصة باقامة الشرائع المحمدية ونشرت
الأمن والسلام فى أنحاء الجزيرة العربية ، وفى وسعك الآن أن
تتجول فى أقصى بقعة من بقاع الجزيرة دون خوف ولا وجل .
وسترى عما قريب أننى سأعيد إلى هذه البلاد عظمتها القديمة
حتى تصبح موئل الاسلام كما كانت أيام سيد المرسلين »

إن هذا العاهل العربى العظيم يلمس تماماً مواطن الضعف
فى كل ركن من أركان بلاده ويعمل على اصلاحه وتقويمه
ما استطاع إليه سبيلا ؛ فالسلام مع الرقى والتقدم هما الأمران
اللذان يعنى بهما عنايته بطعامه وشرابه ، واقامة حدود الله مع
المحافظة على استقلال الجزيرة هما الغايتان اللتان يسترشد بهما فى
تأدية واجبه ، وهو لعمرى الطريق السوى الذى يجب أن يسير
فيه .وملك هذه صفاته وأعماله جدير حقاً بأن يخلد التاريخ ذكره
فى ثبت الوجود

وبعد أن انتهيت من زيارتى استأذنته فى الانصراف فقام
من مجلسه منتصباً وبسط إلى إحدى يديه القلبطتين وظل قابضاً
على يدى برهة وهو يرمقنى بعينه المتسعة ، وكانت ملامحه تدعو
إلى الهيبة والاحترام إلى حد ألفيت نفسى عاجزاً عن أن أرفع اليه
بصرى ، ثم مالبثت أن هويت بفمى على راحته ألثمها فى إكبار وإجلال

ولما أزفت ساعة الرحيل ودعت أصدقائى من سادة العرب
وكبار العلماء كالأستاذ محمد شطا شيخ قضاة مكة ، ورئيس الشرطة ،
وبعض الأطباء النابهين ، ووصلت إلى جدة حيث قضيت أياماً
فى ضيافة الشيخ محمد على وهو رجل علامة يحذق لغات شتى ، وقد
تجول فى أنحاء أوربا ، ويعرف الشيء الكثير من عادات الشرق
والغرب

وأقلعت الباخرة فوقفت فى مقدمها واجما ساكنا تتناهبنى
شتى العواطف ، وأنا أودع هذه الأراضى المقدسة التى رعا أراها
للمرة الأخيرة . وكلما بعدت بنا الباخرة اغرورقت عيناى
بالدموع ، فقد خلفت فى تلك الديار صداقة جديدة تكاد لعذوبتها
تشبه الحب ، وذكرى عزيزة هى ثمرة عقيدتى فى الاسلام واليوم
الآخر . فما أعظم الفرق بين مدنية أصدقائى العرب ، إخوانى فى الله ،
الذين تشيع فى قلوبهم فكرة الاتصال بالواحد القهار فيصدفون
عن الماديات ، وبين مدنية المغرورين الذين يتهالكون فرقا وراء
قضبان المادة وينغمون غلتهم فى شهوة المال !

عبد الكريم جرمانوس

مديرية أســـوان

والحد الفاصل بين مصر والسودان

بقلم رشوان أحمد صادق
B . A في الجغرافيا

أتحدث اليوم عن علاقة مصر بالأقاليم الجنوبيــة واهتمام المصريين بالحدود المصرية الجنوبية منذ بدء التاريخ الى اليوم فأقول :

أول من اهتم بالجهات التي تتاخم حدود مصر الجنوبية هو الملك ببي الأول ثاني ملوك الأسرة السادسة فأرسل القائد أونا (Una) الى كروسكو ليجمع بعض أنواع الأخشاب فساعده قبائل تلك الجهات على أداء مهمته واعترفوا بسيطرة الملك ببي عليهم . ثم أرسل الملك متوسوفيس (وهو الملك الثاني عشر من ملوك الأسرة السادسـة) القائد هرخف لغزو بلاد بنت فعاد يحمل البخور والأبنوس والعاج والجلود حملها على ثلثمائة حمار وحمل معه قزماً من الدنقس أتى به من (بر الأظـلال) . فلما وصل مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه أخوه الملك ببي الثاني فسر بخبر القزم فكتب إلى هرخف يأمره باحضاره إلى منف ، وهذا نص الكتاب : « واصحب معك في السفينة بعض الخفراء لحراسته كي لا يقع في الماء أو يفلت في الليل ، لأني أسر برؤية القزم أكثر من جميع ما أحضرت من بلاد بنت » ، فحفر هرخف هذا الخطاب مع خبر غزوته على واجهة قبره في جزيرة الفنتين

وفي عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل (أوسرتسن) الأول ثاني ملوك هذه الأسرة القائد هونو Huno إلى بلاد بنت بطريق قفط والقصير لجباية الجزية من أمراء تلك البلاد ، فأدى مهمته ثم عاد . وقد جرد هذا الملك حملة بطريق النيل فامتدت حدود مصر الجنوبية حتى الشلال الثاني ، وقد عثروا على حجر في هيكل جهة حلفا (نقل الآن إلى فلورنسا) وعليه صورة هذا الملك وبجانبه المشايخ الثمانية رؤساء القبائل التي تغلب عليها ؛ وفي عهد (اوسرتسن) الثالث خامس ملوك هذه الأسرة امتدت حدود مصر إلى شلال سمنه جنوباً ، وتوجد آثار هيكل من بقايا أعما ذلك العصر ، كما وجد حجران جعلا الحد الجنوبي للبلاد المصر مكتوبا على أحدهما ما معناه : « هذا حد مصر الجنوبي الذي ع في السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث الخالد الذكر فلا يجوز لأحد من السود أن يتعداه إلا في سفن تحمل البا والماعز والحبر » ، ووجد على الحجر الثاني ما معناه : إن المل شيد هذا الحجر في السنة السادسة عشرة من حكمه وجعله حـ فاصلا بين مصر وانيوبيا ، وله تمثل في تلك الجهة ، وتو قائمة من آثاره في ممتوق . وفي جزيرة ارقو توجد تماثيـ وأطلال من آثار الأسرة الثالثة عشرة

وفي عهد الأسرة الخامسة عشرة التي أسسها العمالقة كان مصر في حالة اضطراب ، وهاجر كثير من المصريين إلى اتيو وكونوا معاقل أهمها معقل ارقو ، وحملوا معهم كثيرا من طر الصناعة والفنون المصرية وأصبحوا دولة منظمة في عهد الأسر الثامنة عشرة ، ولم يتم الملك لأحمس الأول أول ملوك الأسرة الثام عشرة إلا بمساعدة ملك اتيوبيا الذي زوجه من ابنته وساعـ على طرد الهكسوس من مصر ؛ ويظهر أن عاصمة بلاد الأتيوبيي هي مدينة نبته عند جبل البرقل بالقرب من مروى ويعر بالهيروغليفية باسم الجبل المقدس ، ودامت العلاقات الحسنة بـ مصر واتيوبيا إلى عهد تحتمس الأول ثالث ملوك الأسرة الثا عشرة إذ غزا الأتيوبيين وانتصر عليهم

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة غزا رمسيس الثاني بلا اتيوبيا وأقام هيكلا في كلابشه تذكاراً لانتصاراته ويعرف الآ عند سكان كلابشه باسم بيت الولي . ورسم على الهيكل صو رمسيس الثاني وهو يحارب في عربة ، وعدة صور بتصعج منهنـ الأعداء وتقديمهم القرابين له مثل الخواتم وأكياس الذهب و الفهد وسن الفيل وبيض النعام . وجدد استخراج الذهب والز من وادي العلاقي المعروفة قديماً باسم اكيتا akita وعلى ه الطريق قلعة يظن أنها من أعمال رمسيس الثاني

ودامت سلطة مصر على اتيوبيا حتى الأسرة العشرين بعد ذلك انفصلت أتيوبيا عن مصر ، وذلك أن (ممنتومباو أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين نفي بعض الكهنة المصر إلى أتيوبيا فخرجوا عن طاعته واستقلوا تحت إمرة أحد

...ذلك رجعت حدود مصر إلى ما كانت عليه قبل الغزو

وفى آخر حكم الأسرة الثانية والعشرين هاجم الأتيوبيون ...ر وأخذت حدود مصر الجنوبية تتراجع شمالا حتى استولى ...تيوبيون فى أيام الأسرة الثالثة والعشرين على صعيد مصر . ... أن بعنخى ملك أتيوبيا بعد أن استولى على مصر فوجئ ...روج البلاد عليه وتقاسمها الأعيان لمدة خمسة عشر عاماً إلى ...ن قام أحدهم ويدعى (ابسمانيك) واستعان بجنود يونانية ...استولى على جميع الأراضى المصرية وطرد الأتيوبيين وأعاد ...لحدود المصرية إلى أسوان . ولقد ذكر (هيرودوت) خبر ...رار بعض الجنود المصرية فى عهد ابسمانيك مؤسس الأسرة ...لسادسة والعشرين فقال إنهم ذهبوا إلى أتيوبيا واستوطنوا هناك وأطلق عليهم اسم (الأوتومولى) وعرفوا بهذا الاسم حتى القرن الأول للميلاد

وفى عهد البطالسة زحف ثامن ملوك هذه الأسرة على مملكة مروى وفتحها ثم سار جنوبا ففتح مدينة أكسوم ، ودون خبر فتوحاته باللغة اليونانية على حجر من الرخام فى ميناء (أدولس) المعروفة الآن بميناء (زولا) على عشرين ميلاً جنوبى (مصوع وهى ميناء أكسوم) ومع ذلك فقد عادت الحدود مرة أخرى إلى المحرقة فى عهد سلفه

وبعد وفاة كليوباترا آل حكم مصر إلى الرومان . وأول من تولى مصر من الرومان هو كرنيليوس جالس وقد ظهر من بعض النقوش على بعض الآثار أن الملك (نوبا كوتاس خوانوس) ، ويظن أنه ملك نوبه ، أرسل رسلا فى أيام هذا الحاكم إلى فيلة ودخل فى حماية الرومان . وحاولت أتيوبيا غزو مصر فى عهد ملكتها (كنداكه) حينما كان الرومان مشتغلين بغزو بلاد العرب ولكنها لم تفلح . وفى عهد (نيرون) أرسل حملة للكشف عن منابع النيل فوصلت الى إقليم كثير المستنقعات ربما كان إقليم السدود الحالى ، وكانت المحرقة آخر حدود مصر أيام الرومان كما كانت أيام اليونان ، فرأى الامبراطور (ديوقلشيان) أن خراج البلاد التى بين المحرقة وأسوان لا يفى بنفقات الجند اللازمة لحمايته فلا فائدة من الاحتفاظ بهذه البلاد فاقطعها للنوبة وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان وقوى حامية الفنتين

وفى عهد الحكم العربى غزا المسلمون النوبة . قال ابن الأثير (فغزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم فسموهم رماة الحدق) وفى سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عشرين ألفاً الى النوبة فمكث بها مدة ثم صالحهم وقرر عليهم الجزية ثم استدعاه عمرو إلى مصر ثانية ؛ وبعد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه تولى عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله مكانه ، وكان أهل النوبة نقضوا الصلح ووصلوا إلى الصعيد فردهم وغزاهم مرة ثانية وصالحهم على أن يدفعوا ٣٦٠ رأساً من الرقيق سنويا على ان يرسل عبد الله اليهم بعض الحبوب . ويقول المسعودى (ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الأمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس ، وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه أن ناساً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها . فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ

وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستنزع من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتيعت منهم من أهل النوبة أنهم إذا حضروا حضرة الحاكم لا يقروا لملكهم بالعبودية ، وأن يقولوا سبيلنا معاشر السلمين سبيلكم مع ملككم ، يجب علينا طاعته وترك مخالفته ، فإن كنتم أنتم عبيدا لملككم وأموالكم له فنحن كذلك . ولما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس المجاورة لأسوان . وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوعاً من وصفنا أحراراً غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة فى غير بلاد مريس) . من ذلك يتبين أن الحدود الجنوبية لمصر لم تكن محددة تماما أيام العرب ، إذ أن بعض المصريين كان يملك أراضى داخل حدود النوبة . ويقول المقريزى إنه فى سنة ٨٧٠ م ذهب

أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى الى محاربة النوبة ورجع غانما . ويفهم من كلام المقريزى أنه فى سنة ٩٥٦ م أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعاً من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل (أنوجور بن الأخشيد) سنة ٩٥٧ م برا وبحرا وأسروا بعض النوبيين الذين ضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة ، وسار الخازن حتى فتح مدينة أبريم ، وقدم الى مصر سنة ٣٤٥ ﻫ بمائة وخمسين أسيرا . وقال ابن الأثير (فى سنة ١١٧٣ م سار شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين الأكبر من مصر الى النوبة فوصل الى أول بلدهم . وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر ، فاستقر الرأى بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى إذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد ، فان قووا على منعه أقاموا بمصر وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها . فجهز شمس الدين وسار الى أسوان ومنها الى بلاد النوبة ، فنازل قلعة اسمها أبريم فسلمت ، فأقام بها ولم ير للبلاد دخلا يرغب فيه ، فتركها وعاد الى مصر بما غنم من العبيد والجوارى) . وقال المقريزى عن توران شاه هذا ما يأتى : (وأعطاه صلاح قوص وأسوان وعيذاب ، وجعلها له اقطاعا ، فكانت عبرتها فى تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ، ثم خرج لغزو النوبة سنة ١١٧٤ وفتح قلعة ابريم) . واستمر غزو المماليك لبلاد النوبة مثل الظاهر بيبرس وقلاوون وغيرهم . ويقول ابن خلدون إن قلاوون عندما غزا النوبة أرسل السفن بالبحر .

ويقول ابن خلدون (ثم انتشر أحياء العرب من جهينة فى بلاد النوبة واستوطنوها وملكوها أيام الناصر بن قلاوون وملؤوها عيثا وفسادا ، وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم ، لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم ، وليس فى طريقة استيلائهم شىء من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد) . الى أواخر القرن الثامن الهجرى .

وبقوا كذلك شيعاً على كل شيعة منهم رئيس أو ملك الى أن قام الفنج فى سناد سنة ١٥٠٥ الى الشلال الثالث ثم كان الفتح العثمانى لمصر بيد السلطان سليم سنة ١٥٢٠ فأرسل جيشا الى النوبة فملكوها من أسوان الى الشلال الثالث وعرفوا (بالغز) وعرف حكامهم (بالكشاف) وهكذا انقسمت بلاد النوبة بين ملوك الفنج والكشاف الى أن كان الفتح المصرى للسودان سنة ١٨٢٠ م أى سنة ١٢٣٦ ﻫ فخضعت لمصر

وفى عهد محمد على امتدت حدود مصر جنوباً بعد فتحه للسودان وكانت تدخل اسوان فى مديرية اسنا ، ثم أحدث تعديلا بأن ضم مديرية اسنا الى مديرية قنا وصارتا واحدة ، ثم انفصلتا بعد ذلك وامتدت الحدود المصرية الى أعالى النيل أيام خلف محمد على خصوصاً فى عهد اسماعيل . واستمرت مديرية اسنا حتى سنة ١٨٨٧ وكان مركزها اسنا . ولما ازدادت الثورة المهدية فى السودان وكادت تمتد الى الحدود رأت الحكومة تحصين الحدود المصرية بقوة عسكرية وجعلت البلاد هناك تحت الأحكام العسكرية فصدر قرار مجلس الوزراء فى ٢٦ ابريل سنة ١٨٨٨ بقسم مديرية اسنا الى قسمين : الأول يشمل الجهات التى بين وادى حلفا وجبل السلسلة تتكون منه مديرية تسمى مديرية الحدود ومركزها اسوان . وأما الأقاليم شمالى جبل السلسلة فتضم الى مديرية قنا وعلى ذلك ألغيت مديرية اسنا وتكونت مديرية الحدود من مراكز ادفو وأسوان وكرسكو (الآن الدر وحلفا) وضمت بقية البلاد الى قنا واستمرت مديرية اسوان باسم مديرية الحدود الى أوائل سنة ١٨٩٩ حينما تحددت الحدود بين مصر والسودان ، وذلك أنه لما أعيد اخضاع السودان عمل اتفاق بين مصر وبريطانيا فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بأن يصبح السودان حكومة مصرية انجليزية وأصبح خط عرض ٢٢ شمالا هو الحد الفاصل بين مصر والسودان وبناء على ذلك دخلت عشرة بلاد من قرى مصر العليا فى حكومة السودان وهى : سرة شرق . فرس . جزيرة فرس . دبيرة . شرة عزب . اشكيت . ارقين . أدفيم . عنقش . دبروسة (وتعرف الآن بالتوفيقية) وبعد هذا التغيير أطلق على مديرية الحدود اسم مديرية اسوان ابتداء من سنة ١٨٩٩ م

(يتبع) أحمد صادق

الخريف

مهداة الى رفيق الأستاذ حلمي اللحام

لشاعر الشباب العربي أنور العطار

القلبُ فاستراحَ إلى الصمْـ ـتِ وللصمتِ عالمٌ مسحورُ
مى بهِ الشجونُ فيَعْيا ليسَ يشكو الضنى وليسَ يثورُ
ـا متعبٌ تكادُ من السقْـ ـمِ تداعى أركانُهُ وتخورُ
شٌ كالخريفِ تطفو عليهِ صُوَرٌ جهمةٌ وخطبٌ نكيرُ

* * *

ـنَّ شيءٍ أراهُ يذوي ويفنى ثمّ يمشي على رجاهُ الدثورُ
ـبٌ للحياةِ يطفحُ بالسحْـ ـرِ ويشدو بساحِهِ المغرورُ
زهوُ الرياضِ في مُتَعِ العيْـ ـشِ وأينَ الهوى وأينَ السرورُ
ـتْ في الغيوبِ قُمريّةُ الدوْ حِ وطاحَ الهزارُ والشحرورُ
ـاحَ على السفوحِ هشيمٌ وجناحٌ على الوهادِ كسيرُ
ـاقى السنا عن الأفقِ الحذْ ـرِ وغشّى رفيفَهُ الديجورُ
ـلّتْ بشائرُ الأنسِ عنهُ واستفاضَ الأسى وصاحَ النذيرُ
ـعدْ تكرعُ الندى شفةُ الزهْـ ـرِ ولم تُسكرِ النسيمَ العطورُ
طوتْ من مباهجِ الروحِ دنيا كلُّها نائلٌ وجودٌ وخيرُ

* * *

ـدَ الحقلُ فالعشاشُ خرابٌ هجرتْها على الليالي الطيورُ
ـلى ضاحكِ المروجِ اكتئابٌ وعلى باسمِ الدغالِ فتورُ
إذا الغيمُ في الفضاءِ ركامٌ وإذا النهرُ مُغْدِرٌ محرورُ
العصافيرُ نومٌ ليس تصحو والفراشاتُ جثّمٌ لا تطيرُ

* * *

ـرقٌ مائتٌ تهاوى على السهْـ ـلِ وغنّتْ بهِ الصَّبا والدبورُ
ـلأ الوهدَ والمساربَ والسفْـ ـحَ اغتياماً بساطُهُ المنشورُ
ـمرَ المشعبَ البعيدَ وغطّى الـ ـوادِيَ السمحَ عصفُهُ المنثورُ
خشخشتْ في الرحابِ أوراقُهُ الغُبْـ ـرُ وللريحِ بينهنَّ صريرُ
منذرةٌ توقظُ النؤومَ من الشجْـ ـوِ ورمزٌ إلى الزوالِ يشيرُ

تعصفُ الصرصرُ العتيّةُ بالغا بِ فيهوي الدوحُ الأغنُّ الشجيرُ
وتضيعُ الألحانُ في هبّةِ الويْـ ـلِ ويرغو الأذى وتطغى الشرورُ
ليس يقري الأسماعَ إلا عويلٌ وصُراخٌ وأنّةٌ وزفيرُ
تمّحي فرحةُ الطبيعةِ في الأرْ ضِ ويُطوى حُلمُ الحياةِ النضيرُ
وتُغنّي أرائكُ الحبِّ والعطـ ـرِ ويبلى الروضُ النديُّ الخضيرُ
تطفحُ السحبُ في عنانِ السموا تِ ويخبو منها السراجُ المنيرُ
ويعجُّ الفضاءُ بالزبدِ المنـ ـدوفِ والأفقُ كالخضمِّ يفورُ
وتغيبُ الأنوارُ إلا شعاعاً يختفي تارةً وأخرى ينورُ
تتعزّى به النفوسُ الوجيعا تُ ويحيا بدفئهِ المقرورُ
أيظلُّ الصرّارُ يرتعُ في الحقْـ ـلِ وينأى عن عشّهِ العصفورُ
تلكَ أحجيّةُ الوجودِ تناهى الـ ـفهمُ عنها واستغلقَ التفسيرُ

* * *

يا حبيبي أراكَ من حُجُبِ الغيْـ ـبِ فيزهو الكونُ السليبُ الحسيرُ
ويغوصُ الظلامُ في نهرِ الفجْـ ـرِ ويبقى الصبحُ الأنيقُ العطيرُ
يُنشدُ السفحُ والتلالُ تُغنّي حيثُ لا مُطربٌ ولا مزمورُ
تُمرعُ الأرضُ بالنباتِ وتهتـ ـزُّ منَ الدفءِ والحياةِ الجذورُ
وتذوبُ الأنداءُ في أكؤسِ الزهْـ ـرِ ويُحيي الثرى الشرابُ الطهورُ
ويطيبُ الهوى ويحلو التلاقـ ـي ومنَ الحبِّ روضةٌ وغديرُ
أيُّها الهاجري أطلتَ التنائي وتعاميا من صدِّكَ المهجورُ
سهدتْ مقلتي وناجاكَ قلبي وهفا خاطري وحنَّ الضميرُ
عشتُ من طولِ حسرتي بالتمنّي وقليلٌ من التمنّي الكثيرُ
تتراءى لناظري فأناديـ ـكَ كأني مخبّلٌ ممرورُ
أنتَ ريحانتي وأنتَ أحاديـ ـثي وأنتَ المنى وأنتَ السميرُ
يا نصيري إذا أظلَّنيَ الهـ ـمُّ وألوى بيَ الشقاءُ المريرُ
طُفْ بروحي كما تطوفُ الشعاعا تُ ويسري ضياؤُها ويُنيرُ
ودعِ الحبَّ يزدهرْ في خيالي وتُهدهِدْ بهِ العصورَ العصورُ

* * *

غفلتْ عنّيَ المنونُ فغنّيـ ـتُ ولحنُ الحياةِ لحنٌ قصيرُ
أتعامى عن الفناءِ وحولي محنٌ ليسَ تنقضي وثبورُ

أَلَمِى صارخٌ وجُرحى ضَرِىٌّ ... والهوى يائسٌ وَجَدِّى عثورُ
وَبنفسى قيثـارةٌ تتشكَّى ... وأنا الدمعُ والأسى والشـعور
أتسلَّى عنِ الضَّنى بلحون ... هى روحُ الحياةِ والإكسير
الشَّجا المُرُّ فى حِماها شِـفاءٌ ... والدُّجى الشاملُ المروِّعُ نور
خاطرِى من نشيدِها مستثارٌ ... وفمى من سُـلافِها مخمور

* * *

عالَمِى مَهْبِطُ الرُّؤَى ومِهادِى ... ذهبٌ خالصٌ وتبرٌ نثيرُ
وفضائى مُوَشَّحٌ بالغوادى ... وهِضابى نَدًى وجَوِّى مَطير
وسمواتِىَ الفســيحاتُ تابو ... تٌ عليه من الغيوم سُتُور
أُفُقٌ شاحبٌ تَدَثَّرَ بالسُّحْـ ... بِ وَأَغْيَا فيه الضَّبابُ الغمير
لا السَّنا ضاحكٌ بأبهائه السُّحْـ ... مِ ولا النورُ فى مَدَاه يمور
فَمِنَ الحُزْنِ والجَهامةِ قبرٌ ... ومن الهمِّ والكآبةِ سُـور
وتعرَّى السَّماءُ من ألَقِ السِّحْـ ... رِ فلا رَوْعةٌ ولا تصوير
التَّعاشيبُ أعيُنٌ جامداتٌ ... هى من طولِ ما تُحدِّقُ صُورُ
أطفأَ العاصفُ المُلِحُّ سَناها ... وغزاها الصقيعُ والزمهرير
هاهنا للجمالِ عُرْسٌ تقضَّى ... مِلْءَ أعطافِهِ شَـذًا وعبير
هاهنا غنَّتِ الينابيعُ سَكْرَى ... ومن السَّلْسَلِ النقىِّ الخرير
هاهنا كان للجداولِ ألحا ... نٌ لِطافٌ وللنسيمِ سَرير
هاهنا حَنَّتِ العَشِيَّاتُ للضِّحـ ... كِ وَبَشَّ الضُّحى وهَشَّ البكور
لا الرَّوابى تفيضُ بالعَبَقِ الطُّهْـ ... رِ ولا يُطْرِبُ الحقولَ الخرير
هَدَأَتْ من جَوَى الغرامِ قلوبٌ ... واستراحت من الهديلِ ثغور
وَحْشَةٌ ما تكادُ تحملها النفـ ... سُ وشَجْوٌ تضيقُ عنه الصدور
المُرادُ المُزَوَّقُ الحُلْمِ داجٍ ... وَحِمَى الأنسِ مُجفِلٌ مذعور
أين وادٍ رَفَّتْ عليه البشاشا ... تُ وَرَنَّتْ أعشاشُـه والوكور
ماجَ فيهِ الهوى فعاشتْ حوافيـ ... ـه وضجَّتْ من الحياةِ الصخور

* * *

أينَ لا أينَ عالمٌ مستطابٌ ... عاثَ فيه رَكْبُ الفناءِ المغير
فانمَحى كالظِّلالِ تنتهبُ الأرْ ... ضَ ويخفى انطواؤها والمصير

أنور العطار

بين ماض وحاضر

أنشودة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عهـدى بالعيش على رَغَد ... عذباً كالماء حساه صَـ
نغم والدهر يُوَقِّعُهُ ... يسرى كالنشوة فى ا
ياليت الدهر كمن يشدو ... بأغانٍ إنْ يُطْرِبْ
إن قلتُ أعِدْ نُعْمَى عادت ... كترنُّمِ ذى النغم ال
حسنات كنت بها ثَمِلاً ... ذهبت فى الدهر فلم
آمال كنت بها شغفاً ... نظر الولهان إلى ال
أحـلام كنت بها جَذِلاً ... قد شـح النوم ولم
وشباب ذقت به خلداً ... فى طرفة عين من
لو دام دوام الخلد لما ... نقع الظمآنَ من الد
لو عاد بذات له ذكرى ... من مُطَرَّفٍ أو مُتْ
بشعاع منـه أعيش مدى ... دفءٌ للشمس على بُعـ
آب التذكارُ له شـبحاً ... أو قبراً شِـيدَ لِمُهْـ
ما خلَّفَ لى دهرٌ ثقـة ... بمآلٍ فيه أو أحـ
يا نبع الماضى لو عاد الـ ... ورّادُ اليـك على
لرجعت اليـك رجوع صَدٍ ... لم ينهل قبـل ولم
وغدًا ماذا يادهر ترى ... قد قُدِّرَ لى بضمير

عبد الرحمن شكرى

صورة...

(من صور دمشق فى هذه الأ

بقلم السيد أحمد عبيد

ما أروعَ القومَ إذ ضَنُّوا بعزَّتِهم ... فسالَتِ الشامُ فِتياناً وَو
تدفَّقوا كأتِىِّ السيلِ مُقتحماً ... لظى جحيمٍ تُذيقُ الموتَ
فلا الأتىُّ بمُخبٍ من توقدها ... ولا الجحيمُ تَصُدُّ السيلَ إذ
إذا التَقَوْا والعِدى فى وَقعةٍ فهُما الـ ...
بُركانُ يقذفُ «نيراناً» و «صو

ول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

تعليق المؤلف[١] على فلسفة نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

يتمتع نيتشه بما لا يتمتع به فيلسوف آخر ، لأن تفكيره قد ناوله بالبحث أرباب الفلسفة وغير أربابها . وقد طغت « النيتشية » فى الأعوام الأخيرة أى طغيان ، فأما المعجبون به فهم يرون فيه المفكر الفرد الصارم العميق فى جرمانيا الحديثـة ، له منزلة « دارون » فى الأخلاق . وأما خصماؤه فهم لا يرون فيه إلا ولداً مريضاً ، له خطره ومبدؤه الفاسد . وبينهما يقف الشعب حائراً ، يراه من ناحية معجباً بآثار هذا الجبار ومظاهر تفكيره الغريب ، ومحترساً من ناحية ثانية من مفكر ناقم على الأخلاق والتقاليد ؛ والآن سنعمل على تبيان الأسس الرئيسية التى ترتكز عليها فلسفة نيتشه ، والأهمية التى تنشأ عنها

هدم النقاد فلسفة نيتشه من وجهتين : فى الوجهة الأولى أبدوا أخطاءها العملية . وفى الوجهة الثانيـة بينوا خطرها على الأخلاق

إن نيتشه فى الطور الثانى من حياته لم يكن يكتسب شيئاً ولم يكن فى استطاعته أن يكون عالماً ؛ ولقد علمت رداءة صحته التى تحول بينه وبين مواصلة جهوده فى البحث . فهو قد بدأ حياته العلمية بدراسة اللغات ، ثم لم يلبث أن غادر هذا الميدان إلى غيره ؛ وهو لم يكن فى سائر العلوم إلا هاوياً ، لا يسعى وراء ترقية هذا الفرع وذلك الفرع فى العلوم ، ولـكنه يريد من وراء ذلك أن يبدع مسائل جديدة ، أو يكسو المسائل القديمة ثياباً جديدة ؛ فهو لا يؤثر فى العلم نفسه ولـكن فى روح العالم . فان اشتقاقاته التى استنبطها فى دراساته للغات القديمة لم تكن لتلائم الحقيقة ، ولـكن ذلك لم يكن ليحفل به ، فهو يبغى أن يظهر طرق درس المسائل الاجتماعية بواسطة الدراسة اللغوية ، فالقيمة الجوهرية لملحوظاته الخاصة هى شىء ثانوى عنده ، سواء عنده حياتها ومماتها ، فهو يكفيه فضلا أن ينفخ فى نفوس هؤلاء الدارسين روحاً جديدة ويفتح لهم آفاقاً جديدة . ولذلك نراه فى آخر أدواره جد فان ، يسعى بواسطة الدراسات اللغوية إلى أن يستكشف الحياة الاجتماعية ، وحضارة ما قبل التاريخ مستعيناً بدرسه ومقارنته بين اللغات

وإذا شئنا أن نوضح بعض خطيئات نيتشه فلا ننس أن آثاره كلها « ذاتية » Subjective والحقيقة — غير الذاتية — يراها نيتشه ضرباً من ضروب العاطفة الدينية ؛ وإننا لنطلب إلى العالم ألا يحترم إلا الحقيقة ، وأن يكون فى بحثه عنها خالياً من الأهواء متجردا عن شخصيته – على قدر الامكان – وإننا لنعلم أن التجرد عن الذاتية فى البحث عن الحقيقة هو خديعة ، ونعتقد أن ليس فى مقدور أحد أن يتجرد عن شخصيته وينظر إلى الأشياء نظرة خالصة لا تجتلى إلا الأشياء ؛ وبهذا ليست كل حقيقة ذاتية قبل كل شىء ؛ وجوهر الموضوع – فى البحث العلمى – لا يقف عندما اعترفه الـكاتب من حقيقة ، ولـكنه يقف على مقدار ما أودع فى هذه الحقيقة من ذاته . ونحن على رغم هذا أرانا نؤمن بالحقيقة المجردة ، الحقيقة البارزة بحقيقتها خارج ادراكنا وحواسنا ، وأرانا نؤمن بالمؤلف ونزيد احترامنا له كلما دنت أفـكاره مما ندعوه « الحقيقة المتجردة عن الذاتية »

لنا الحرية فى أن نزن آثار نيتشه بهذا الميزان ، ولـكن نيتشه كان قبل كل شىء يفتش عن نفسه ويسعى وراء معرفة نفسه ؛ ولقد كان اهتمامه ضعيفاً فى الاطلاع على الأشياء بحقائقها ، وإنما وقف اهتمامه كله وجهوده على ما يمثل شخصيته ، فخلق من الأشياء خرافات كاذبة ، وقد علم أنه إنما وصف نفسه حين كتب عن « شوبنهاور وڤاجنير » أنه حول الحقيقة إلى خرافات جذابة غريبة ، ولأن تكون مظاهر لشخصية نيتشه أجمل وأحرى من أن تكون مظاهر تمثل حقيقة الوجود الخارجى ، وبهذا يصبح عبثاً سعينا وراء الحقائق التى عالجها نيتشه والعمل على التوفيق بينها وبين الواقع

وهنالك تأثير معاصريه فيه — سواء أحس هو هذا التأثير أم لم يحسه — وفكرته التى جاء بها — إذا جردت من أثوابه الخاصة — تبـدو فكرة قديمة ليست بابنة ذاته . فكل الآراء التى عالجها ، من قوله بالذاتية وعبادة النفس والثورة على قانون

(١) هو الأستاذ « هنرى ليشتنبرجر » وقد أشرنا اليه فى هذه المقالات

المساواة وعبادة الانسانية قد سبقه الى معالجتها أحد معاصريه[1] كما سبق « فلوبير » و « رنان » إلى الكتابة عن المذهب الارستقراطي . وقد وجد نيتشه في الكاتب «أوجين دوهرنك» عضداً له في محاربة التشاؤم . واتحد مع « هارتمان » في النفور من الاجتماعيين والفوضويين ، واتفق معه في القول باستحالة المساواة بين الناس ، فقالا بفضيلة الحروب للمدنية ، واتفقا على جعل الشفقة مادة غير صالحة للفضيلة . وكذلك نرى مذهب الرجعة الدائمة يتجلى في كتاب « لبلانكى » ! وفي كتاب الدكتور « لوبون : الرجل والمجتمعات » . ولكننا — وان قارنا بين نيتشه وبين هؤلاء المعاصرين — فان هنالك تبايناً شاسعاً مهما كانت الأفكار متقاربة متآلفة . وعلة هذا التباين شخصية نيتشه . ولقد نراه في بعض خطرات يتحامل على هؤلاء الأحلاف ، فمقت من « رينان » روحه الكاهنة ، ونمت « هارتمان » بالشموذ . وليس نفوره هذا وليد حقد أو حسد ، وإنما هو وليد طبيعة تختلف جد الاختلاف عن طبائع خصومه . هذه الطبيعة التي تؤمن بأن الشخصية في الفيلسوف هي أكبر قيمة وأجل خطراً من آثار الفيلسوف

على أن هذا لا ينبغي أن يدفعنا الى انكار فضيلة كل حقيقة غير ذاتية اكراماً لقوة الشخصية عند نيتشه ، وإذ ذاك يعم الجور والخطأ في الحكم . وانني لمعتقد بأن المؤرخ والفيلسوف يستطيعان أن يجدا عند نيتشه حقائق جميلة بذاتها . وهنالك آراؤه في « فاجنير » يراها المؤرخ جديرة بالاعتبار لأنها تبدي قيمة الفنان العظيم . وهنالك آراء لنيتشه يجدر بها أن تكون محل مناقشة ومجادلة ، على أني أقول إن عبقرية نيتشه لا تستقر إلا في « الذاتية »

* * *

والآن أراني أستشهد بكلمة « لبراندس » قالها في موضع التحدث عن فيلسوفنا حينما قارن بينه وبين خصومه فلاسفة الانجليز . « قال : وحين نقبل عليه . . . (نيتشه) بعد مغادرتنا لفلاسفة الانجليز نرى عالماً جديداً حولنا . فالانجليز هم عقول متشابهة في الصبر والجلد ، غرضهم أن يتقنوا الشيء جزءاً جزءاً ثم يجمعوا هذه الأجزاء الصغيرة المتفرقة ليؤلفوا منها شريعة وقانوناً ؛ يعملون غير متأثرين بذاتهم ؛ وقيمة فلسفة تتوقف على ما يعملون لا على ما ترق إليه ذاتهم ؛ أما نيتشه على نقيض هذا المذهب ، هو مثل شوبنهاور متنبئ فنان تستهويك شخصيته قبل أن تستهويك آثاره . » وإذا شـ إبداء قيمة آثاره فليس لنا أن نتلوها تلاوة كتاب ع لا تتوقف روعته على روح صاحبه . نتلوها لنرى الروعة فيما ؛ هذا الرجل من معارف قديمة بسطها وجد بدة وضعها

يرى نيتشه في معرض كلامه عن شوبنهاور « ان مذهـ الفكر لا شأن له ، فكل فيلسوف ممكن انخداعه . إن ذ الشيء الذي هو أجل من مذهبه — هو نفسه — في فيلسوف شيء لا نجده في فلسفته . علة كل الفلسفات والمذاهـ هي الانسان ، الانسان العظيم

(التتمة في العدد القادم) خليل هنداوي

(١) ماكس : في كتابه الواحد المجرد وصفاته

وزارة المعارف العمومية

اعلان

تسليم شهادات كفاءة التعليم الأولى للمعلمين وإتمام الدراسة بالمعلمات الراقية وقسم الفنون الطرزية بمعلمات شبرا

نظراً لأن شهادات كفاءة التعليم الأولى للمعلمين وإتمام الدراسة بمدرسة المعلمات الأولية الراقية بشبرا وقسم الفنون الطرزية الملحق بمعلمات شبرا الأولية لسنة ١٩٣٥ قد تم تحريرها وأرسلت للجهات المختصة لتوزيعها على أصحابها ، فوزارة المعارف تعلن جميع الطلبة والطالبات الناجحين في الشهادات المذكورة في الدورين بوجوب تسلم شهاداتهم ابتداء من يوم السبت ١٥ الجاري

أما جهات وطريقة تسلم هذه الشهادات فقد توضحت في كشوف التوزيع التي أودعت نسخة منها للاطلاع في كل مدرسة من مدارس المعلمين والمعلمات الأولية والراقية بشبرا

القصص

أساة من اسخيلوس

٣ ـ أجاممنون

للأستاذ دريني خشبه

تتمة

— « باريس ! لقد خربت زيجة بينك ... أجل ... أنت وأختك ... أوه يانهر سكمندر[١] المصطخب ! لقدجرع أبي منك جرعة ، وعلى ضفافك شببت وترعرعت ، فيا لشقوتي ! أما الآن ... فان نبوءاتي تتواثب على شطئان كوكيتوس وأشيرون [٢] ... »

— « أوضحي بحق أربابك عليك أيتها الفتاة ! إن آلامك تذب في صدري فتخز أشواكها حبة قلبي ... »

— « طروادة !! أهكذا سقطت إلى الأبد !! أهكذا تندلع النيران في أبراجك الشواهق ! أهكذا ينبطح أبي الملك الشيخ مضرجاً بدمه ؟ ... ويلاه ... بعد لحظات أغرق في لجة من دمي مثلك يا أبي ... »

— « عود إلى النغمة الملغوزة السالفة !! ما أحسب إلا أن إلـهاً قاسيا يرديك بعنف في هذه الحمأة المسنونة !! »

— « نغمة ملغوزة !! لا ! لن ألغز يارفاق ! سأجلو لكم السر الهائل الذي خبأته الجريمة السنين الطوال في هذا القصر ! هنا ! تآمر الآثمون في الظلام ... وكان الظمأ إلى الدم يشد عزائمهم جميعاً ! كانوا يدلفون الى كهفهم فيتغنون آلامهم ويستنزلون اللعنة على ... خصمهم ... وهو منهم ، وهم مع ذلك منه ... أخوهم ... وهم إخوته وأقاربه ... قتلوه ... قتلوه وهو مستسلم للكرى الهادئ ... أليس كذلك ياسادة ؟ أهذه ثرثرة ، أم أنا أهذي ؟ ... »

— « بل أنت قد صورت ما حدث منذ أعوام وأعوام كأنك ترين اليه الآن ... »

— « هذا من فضل أبولو علي ! لقد أمدني بروح من عنده »

— « وله ؟ هل شغفه حبك مرة ؟ »

— « ... ؟ ... ... ؟ ... لا أقدر أن أقول ؟ ... » [١]

— « ما كان ضرك لو تلطفت معه ... ... ! »

— « إيه ... كم كان رقيقاً حينما كان يصارع فؤادي ؟ »

— « وهل في وسعك أن تمضي حداً لمغامراته ؟ »

— « لقد وعدته ... ولكنه خان ميثاق ! ... أواه ! وا أسفاه ! تعالى ! لقد ثارت الزوبعة من جديد ! لا أطيق أن أكتم الحقيقة ! انظروا يارفاق ! أول الشجو ! ما هذه السمادير التي تغشي سماءكم ؟ يا لأفلاذ الأكباد ! يا للصغار ! إنهم يذبحون بنفس الأيدي التي كان أجدر لو ترفقت بهم وحنت عليهم ! ... يا للهول ! ... أبوهم يمد يده البريئة فيأكل شرائح مشوية من أكبادهم وضلوعهم ! ... إن لهذا قد دبر انتقام دموي هائل ... وها هوذا الأسد ! الأسد الجبان النذل ، الذي تقلب في سرير صاحب الجلالة — بحر اللذة والدنس ! ... إذ صاحبه نازح يغزو ! ... لا ضير أن يكون أحد أسيرا مرة ، ولكن هذا الفاتح المظلم ! غازي طروادة ! سيد الأسطول اللجب ! إنه لا يدري السر الهائل الذي تقبره زوجته ... السفاحة ... التي تتحوى كالأفعى ، وتهسهس في الظلام المنتشر حول نفسها ، وتوسوس إلى شر كأنها بأفتق الجرائم ... لقد فاقت في الخب كل مثل فما أدري بم أشبهها ؟ آه ! إنها أشنع من سكيلا (هذه الهولة الرائعة ، ذات الرؤوس الستة التي تنفث السم ، وتغتال رواد البحار ! ...) الآن ! الآن ينفذ سهم القضاء عن قوس غدرها ... والآن ! ستعترفون أنني ما ألغزت ، وما قلت غير الحق ! ...

(١) النهر القريب من طروادة والذي كاد يغرق فيه أخيل كما مر بك في الألياذة (٢) نهران من أنهر الجحيم

(١) أحب أبولو كاسندرا كما مر بك في حروب طروادة ووهب لها قوة إدراك الغيب ، فلما بخلت عليه وصدت عنه كتب عليها أن يستهزىء مستمعوها ولا يصدقونها

— « الحق كل الحق يا فتاة ... لقد رويت ما كان من وليمة ذيستيس ، وما تم فيها من نهشه لحم أطفاله وهو لا يدرى ... يا للهول ... ما نزال نقشعر كلما روعنا رجع تلك الذكريات ... »

— « إذن سيموت مولاكم أجاممنون ... وسترون بأعينكم ! »

— « يا شقية ! لا تهرفى بهذا الهراء ! »

— « ولن أدعو أرباب الخلاص هذه المرة ! »

— « وهل خلاص من الموت ؟ ولكن عسى ألا يكون قريباً ! »

— « أنتم ترجون ، بينا غيركم يذبحون ... أو يكادون ! »

— « وأى إنسان يا ترى يضطلع بهذا النكر ؟ »

— « أى إنسان ! إن السهم الراش يطوى ما بين المشرقين ؟ »

— « أجل ، ونحن لا نستطيع أن نحدس من يجرؤ على هذه الفعلة ! »

— « أنا أقولها ؛ وحسبى أنى استطعت أن أكلكم بلسانكم الهيلانى كواحدة منكم ! »

— « وهكذا استطاعت البيثونة [١] من قبل ... ! وكان كلامها ملغوزاً دائماً كذلك ! »

— « يا للشجى ! يا للجمر المتقد ! إنها تقدم ! الغوث يا أبوللو ! بالى من تاعسة ! هذه اللبؤة الآدمية ! إنها تضطجع مع الذئب بينا أسدها الهصور نازح عن الديار ... وأنا ! أنا التاعسة قد جئت لأضاعف أحقادها عليه ؟ جئت لأجعل السكين مسنوناً أكثر ! ها هى ذى تحدث ذئبها أنى أنا أيضاً ينبغى أن أذبح جزاءً لى ! ... فيم إذن أبقى على مسوحى وعصاى ! عصاى السحرية ! لأمزق المسوح ولأحطم العصا ! (وتمزق وتحطم) إذهبا إلى الفناء فإنى لاحقة بكما ! كونا قائدىّ إليه ! سأنيمكما ، أتمسا حياةً ثانيةً غير حياتى ! ... انظروا انظروا ! إن أبوللو ينزع عنى المسوح بيديه ! آه ! أقبلت لترعانى فى هذه الأجمة الوبيئة ! لتسر قلبك بإهانتى وخزاتى ! بسخرية أهلى من قبل ، ولعنات أعدائى ولعنات وطنى اليوم ! إنهم يزعموننى قديسة شحاذة ! أو كاهنة أفاقية ! يا للهول ؟ ماذا خبأت لى أيها القدر ؟ وىْ ! الوضم [٢] ! السكين المشحوذ ! الضربة اللازبة التى تتم بها التضحية ! ... يا سماء ! إن الذى يأخذ بثأر الأبرياء ما زال حياً [١] ! ... ويحك يا قاتل أمه أين أنت ؟ خذ بثأر أبيك أيها الجائل فى الآفاق ! ... وىْ ! فيم بكائى ، وها هو قاهر طروادة وقاتل بريام يلقى جزاءه وفاقاً ! مرحباً ياموت ! أنا لا أهاب الردى

— ولكن ! ... الصلاة ! ... الصلاة يا أربابى ! أضرع إليكم أن يكون جرحى بالغاً مميتاً فلا يعذبنى طويلاً ! لتتدفق مع حياتى فلا يعترضها شيء ... »

أيتها الفتاة التى تطممها الهواجس ، حسبك ، فقد بلغت المدى ! والآلهة أنت ! كيف تتقدمين إلى حتفك بقدم ثابتة ونفس رابطة ، وأنت تعلمين من الغيب كل شيء ؟ لم لا تفرين ؟

— « وأين تفر من المنايا وقد جاء أجلنا ؟ »

— « كيف ! إن لكل مهلة قيمتها ! »

— « حم القضاء ، قلت لكم يا رفاق ! أية مهلة إذن ؟ إن الهرب لا يجدى فتيلا ! »

— « إيه ! رب قتلة شريفة تختم حياة مليئة ! »

— « ويلى عليك يا أبى . . . وعلى أبنائك التاعسين ! »

(وتتقدم إلى باب القصر . . ثم تقف مذعورة)

— « ماذا يفزعك يا فتاة ! ؟

— « ويلاه !

— « ماذا ؟

— « تلك الغرف السود تضج بزفير الجريمة ! القتلى يسبحون فى لجة من الدم ! »

— « إنها دماء القرابين فلا تفزعى ولا تراعى !

— « بيت كأنه قبر ! لولا هذه الدماء . . . ! ولولا ذلك الصلول [٢] »

— « تزودى من الصلول فقد ورمت أنوفكم من عطور الشام وطيوبه ! »

— « لأدخل إذن . . . ولأروّ بالدمع حقلى العاثر ، وحظ الملك التاعس . . . أجاممنون ! سئمت تكاليف الحياة يا رفاق لابد أن تقتل امرأة بامرأة ، ورجل برجل . . . وتلك أخرى نبوءاتى . . . سيقتص لى ، ولكل مقتول برىء ! . . . »

(وتنطلق داخل القصر)

— ٢٠ —

ويقف الخورس مشدوهين لما ألم بهذه الفتاة ، ويتحدث

(١) أفعى عظيمة قيل إنها خلقت من وحل الطوفان الذى نشأ عن غضب زيوس فى حربه ضد التيتان — وقد قتلها أبوللو
(٢) خشبة الجزار

(١) تقصد أورست بن كليتمنسترا الذى يأتى ليثأر من أمه لأبيه
(٢) النتن

تهم الى بعض عما حشدت فى حديثها من ألغاز ، وبثت من طلاسم
سرار ... وتقطع حديثهم صرخة داوية داخل القصر ! ...

— « آه ! أهكذا أذبح فى قصرى ! ؟ »

وتزداد دهشة الخورس ، وتزداد ثقتهم بنبوءات كاسندرا ... لصوت صوت أجاممنون لا غيره ! ... ويهمون أن يدخلوا ... لكنهم يتريثون ... ويعود الملك الى صراخه :

— (آه . آه ! أهكذا وبهذه اليد أضرب حتى أموت ! ؟

ويعود الخورس إلى لغطهم فبعضهم يشير بالدخول ليكونوا شهداء مقتل الملك — ويتقاعس بعضهم كأن الأمر لا يهمه ... ... ثم يشير رئيسهم أن يتريثوا حتى تنكشف جلية الأمر . . .

وإنهم ليهمون أن يقتربوا من باب القصر حتى تنفضح الملكة بينما هى تلف جثمان القتيل فى الوشى الذى أعد لاستقبال الملك الظافر ... قاهر طروادة !

ولا تستحى أن تعترف بما اقترفت ، بل تصرح أنها دبرت الأمر وأخذت له أهبته ، وأنها فرحة به مسرورة له ...

— « يا للجرأة أيتها الملكة الآثمة ! ... »

— « آثمة أو غير آثمة ... تمدحون أو تقذعون ... سواء لدى ! إنها جثة مليككم أجاممنون ، هذه الجثة المدرجة فى لفائفها أمامكم ... وأنا مزهوة بأن قتلته ... ! »

— « أيتها المرأة ! أى سوء اختلط بدمك ، وإثم خامر قلبك ، فتقتلين رجلك وأمير المملكة ... أبشرى بلعنة الجماهير وغضب الآلهة ! ... اليوم يفلت من يديك زمام الأمور ... »

— « لعنة الجماهير ، وغضب المملكة ... وزمام الأمور ! مضحك ! سرعان ما تحكمون على ما لا تعلمون ! وأين كنتم يا سادة ؟ وأين كانت جماهيركم وآلهتكم يوم ذبح أجاممنون الوحش طفلته ؟ ... أين كنتم يوم أهوى على عنقها بالسكين كما يهوى على رقبة شاه ! إفجينا ! ابنتى ! قطعة قلبى وكبدى ! ؟ ذبحها أبوها الوحش ! لماذا ؟ لتهدأ العاصفة ، وتسير السفين باسم الشر مجراها ومرساها ! ! ماذا تقولون إذن ؟ وأين كنتم يا سادة ؟ ولم يفلت من يديه زمام أموركم يومئذ ؟ لم لم يقص عن عرشكم ، وتنزل عليه لعناتكم ، ويحل عليه غضب آلهتكم ؟ آه ! ولكنكم تخلطون المين بالحق ... ودأبكم أن تسارعوا إلى الحكم دون روية ولا تبصرة ! »

— « حماسة وقحة وتبجح أثيم ! ويل لك حين تؤدين الدين من دمك ، إذن تفيقين ! »

— « أقسم بأيتيه وإرينيس ، آلهة القوة والمجد ! »

— « تقسمين على فسقك وغرامك الدنىء الدنس ؟ ... »

— « أجل ! على غرامى وحبى ... حبى لهذا البطل المظلوم إيجستوس الذى دبر لى كل شىء وأعاننى على كل شىء ... وشاركنى فى هذا الدم ! أما لأن مليككم قتل ابنتى ، وذهب الى طراودة ليغازل خريسيز ويرشف الرضاب الحلو من فم بريسيز ، ثم يعود ظافراً وفى ركابه هذه القينة الفاجرة التى جلست بجانبه تسكره بخمر حديثها ... ... وهو ، وإيجستوس (لأن له إخوة ذبحوا وأكل أبوهم من لحومهم وشرائح من أكبادهم ... ثم قتل بعد ذلك ! ... ومن قتله ؟ أخوه ؟ ... يا للهول ! ... هو الذى ذبح الأطفال الأبرياء ! وأطعم أخاه لحومهم وقلوبهم ... !) »

— « المرأة ! داءنا المرأة ! يا أخت هيلين ! ! كم أرواح مطهرة فاضت لأن أختك أثمت ، وتردت فى حمأة الفسق ! الفاجرة التى فرت مع عاشقها من خدر زوجها ! ثم أنت ؟ أأنت أختها ؟ ومن البذرة السيئة نبتت مثلها ؟ »

— « عليكم أنفسكم مالكم ولهيلين ! »

— « ... آه أيها الغراب الناعب ! رنق على جثة زوجك ، وانعق ... هات أغنيتك المنكرة ، ورتل أنشودة جريمتك فى جناز رجلك ! ... »

— « حاشاى أن أكون صنعت ما صنعت وأنا بعد زوجته أو هو بعد رجلى ! بل صنع هـذا ولية أتريوس ! أتريوس أبو أجاممنون ! الوحش الذى أطعم أخاه لحم أبنائه ! هو الذى ترك لابنه الملك هذا الارث المظلم ... قتل ... فليقتل ! وليقتل من بعده أبناؤه [1] ... فيا للقصاص ! ؟ »

— ٢١ —

وتستطيع الملكة بذلاقتها وقوة برهانها أن تخدع الخورس وأن تقنعهم — إلا قليلاً ! فقد قتل الملك ابنته حين قيل له إن السماء تطالب دماً ، وهذا منتهى الظلم ، وقد قتل أبوه أبناء أخيه وأطعمه لحومهم ... وهو بذلك ورث أبناءه العذاب ... والقتل ... والدم ... !

وما يكاد الخورس تهدأ ثورتهم ... حتى يحضر إيجستوس حبيب الملكة ... وشريكها ... ومدبر الأمر معها ... والذى ذبحت إخوته وأطعمت لحومهم أباه المسكين ! ... يحضر والبشر

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

(١) وهذا هو محور مآسى اسخيلوس (لعد بحر الوزر وبالا عظيما على الشخص وعلى أحفاده وأحفاد أحفاده)

البريد الأدبي

وفاة الأستاذ الشيخ محمد زيد بك

استأثرت رحمة الله بالأستاذ العلامة المغفور له الشيخ محمد زيد الابيانى ، فرزئت بفقده الشريعة الاسلامية التى كان علماً من أعلامها ، ورزئ العلم الغزير ، والافتاء الصائب ، والخلق الكريم ، والتواضع الجم . كان الفقيد من أبناء مديرية الغربية ، وتلقى دراسته بدار العلوم ، وعين منذ تخرجه فيها لتدريس الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق ؛ وما زال زهاء أربعين عاماً يتبوأ منصة التدريس فى هذا المعهد الجليل ، متوفرا فى نفس الوقت على دراسة الأصول والمسائل الشرعية حتى غدا بحق مرجعها الفذ وحجتها الثقة ؛ وكانت الشريعة الاسلامية إلى هذا المعهد تدرس بأساليب عتيقة مضنية ، قلما تعاون على خلق العقلية الفقهية الصحيحة ، فاستطاع الفقيد بذكائه ومثابرته وعقليته الفقهية المستنيرة أن يختط لتدريسها منهجاً بديعاً قريب المأخذ جم الفوائد ؛ ووضع لهذه الغاية عدة مؤلفات قيمة ، تشهد له بغزارة المادة وبراعة الاستقراء والعرض هى : شرح الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية ، شرح المعاملات الشرعية ، مباحث المرافعات الشرعيـة ، مباحث الوقف وما زالت هذه الآثار التى تضارع فى وضوحها ودقتها وحسـ تنظيمها أقوم الشروح القانونية الأوربية ، مرجعاً نفيساً لطلا الحقوق والأزهر ، ونبراساً قيماً لرجال القضاء والمحامين

ولا نعرف أستاذاً من أساتذة الجيل المنصرم له ما للعلا الراحل من فضل وأثر سابغين فى بعث النهضة الفقهية الحديثة وتكوين العقلية الشرعيـة المعاصرة ، بل لا نعرف أستاذاً أساتذة الجيل المنصرم تخرج على يده مثل تلك الجمهرة الحا الممتازة التى تخرجت على يد الشيخ زيد . وقلما تجـد بين عظ مصر وبين زعمائها وساستها ومفكريها وكتابها - وجلهم خريجى الحقوق - من لم يدرس على الشيخ ، وليس بين أعـ القضاء وأعلام المحاماة المعاصرين ، بل ليس بين رجال القانو والقضاء المصريين جميعاً من لم يتلق عنـه ويتخرج على يديه فهؤلاء جميعاً عرفوا الشيخ أحداثاً وفتياناً ، ونهلوا من غز مورده ، واستطاعوا جميعاً أن يقدروا مواهبه ورفيع خلاله

وكان الفقيد يتمتع فوق علمه الغزير ، بأخلاق طاهرة وشمائ باهرة ؛ فقد كان جم التواضع والأدب ، كثير الحلم والرفق سباقاً إلى الخير ، يعامل طلابه معاملة الأب البار ، ويتمتع بحبهم وتقديرهم جميعاً

طيب الله ثراه ، وشمله بواسع رحمته ، وعوض عنه الأسرة القضائية خير العوض «ع»

كتاب عن ابراهيم باشا

صدر أخيرا كتاب بالانكليزية عن ابراهيم باشا المصر (ابن محمد على) عنوانه « ترجمة جديدة لابراهيم باشا new Life of Ibrahim Pasha » بقلم الأستاذ ب . كرابتيس الامريكى الذ ظل منـذ أعوام طويلة قاضيا بالمحاكم المختلطة بمصر ؛ والأستا كرابتيس يعنى أثناء إقامته الطويلة بمصر بالشؤون والمسائ المصرية الفقهية والتاريخية والاجتماعية ويكتب عنها فى مختلف

يقطر فى وجهه ... وللنصر المؤزر سورة فى قلبه ... فما يكاد يذكر الماضى المؤلم الذى حل بلاؤه باخوته ، وهذه الخاتمة التى حلت بابن أتريوس المسكين (أجاممنون) حتى يثور ثائر الخورس ، ويهتف رئيسهم :

— « أ كان هذا النذل يتقلب فى أحضانك أيتها الملكة على فراش الملك ؟ ... أ كنتما فى نشوة الفسق ، وسكرة الغرام ، ترسمان للملك هذه القتلة المدبرة ؟ »

ويهم إيجستوس أن يفتك بالخورس وبرئيسهم قبلهم ، لولا تدخل الملكة ، وأنها ترجو أن تضع حدا للمجزرة ! ...

فيتوعدهم إيجستوس حين يصبح الأمر له ، وحين يحمل رأسه المجرم عرش آرجوس ... ... ولكن ... هيهات !

دريني خشبة

لات الأجنبية ؛ وقد تزود فى وضع مؤلفه الجديد عن ابراهيم شا بطائفة هامة من الوثائق والمراجع الرسمية وغير الرسمية فى محفوظة بها سراى عابدين ، واستطاع أن يجمع أشتاتا قيمة خرى من المعلومات والوقائع المجهولة عن تاريخ ذلك العهد وعن حياة القائد الكبير

وقد كانت حياة ابراهيم دائماً تعتبر فى المرتبة الثانية إزاء حياة والده العظيم ؛ ذلك أن شخصية محمد على وجهوده السياسية والاصلاحية الجبارة كانت تلقى حجاباً على جهود ولده ابراهيم ، ولم يكن ابراهيم فى نظر التاريخ سوى ساعد والده الأيمن وقائد جيشه ؛ ولم يكن له ضلع فى السياسة أو الشؤون العامة ، ولكن الأستاذ كرابتيس يحاول أن ينفى هذا التصور ؛ لقد كان ابراهيم فى نظره سياسياً عظيماً كما كان قائداً عظيماً ؛ وكان له فى السياسة والشؤون العامة أثر فعال ؛ بيد أنه لم يكن يتفق دائماً فى الفكرة مع أبيه ، فقد كان يرى مثلا أن فوزه بتحطيم الوهابية فى الحجاز خطوة أولى فى سبيل تحقيق حلمه العظيم بانشاء امبراطورية عربية إسلامية ، ولكن محمد على كان دائماً يجانب هذه الفكرة مؤثراً مصانعة السلطان والتفاهم مع الدولة العلية

ويستعرض المؤلف حياة ابراهيم العسكرية ، وحملاته وغزواته المختلفة بدقة وإفاضة ، ويقول لنا إن أطماع محمد على لبثت فى سبيل التحقيق والنجاح ما بقيت محصورة فى بلاد العرب ، ولكنها مذ بدأت تتجه نحو الشمال ، أخذ الحظ يجانبه والمصاعب تتفاقم فى وجهه ؛ وقد كان اشتراك مصر فى حوادث اليونان ظرفاً مشئوماً جنت منه مصر شر العواقب . بيد أن محمد على لم تفتر همته وأطماعه ، حين حطم أسطوله فى نافارين ، فأنشأ دار صناعة جديدة بالاسكندرية ؛ وكان ذلك الرجل البعيد النظر يعلق دائماً أهمية كبيرة على قوة مصر البحرية

ويقول لنا الأستاذ كرابتيس إن الزمن لم يفسح مجالا لابراهيم ليبث عبقريته السياسية بصورة فعالة ، ولكن الموت عاجله ، ولما يمض على صدور الفرمان بتعيينه واليا لمصر سوى ستة أسابيع ؛ وقد توفى فى التاسعة والخمسين من عمره ، بعد أن عانى تباريح الآلام والمرض ردحاً من الدهر

الحياة الأخرى

مازالت مسائل الروح والحياة الأخرى تثير على كر العصور طلعة الانسان وروعه ؛ وقد اشتركت أديان الأرض جميعاً ؛ والدنيات فى كل قطر وعصر ، فى التحدث عن الحياة الأخرى ، ولكن التفكير الانسانى لم يهتد حتى اليوم إلى نتائج حاسمة فى هذا الموضوع الخفى ، وما زال فى كل عصر يحوم حوله بمختلف الفروض والنظريات . وقد صدر أخيراً كتاب بالفرنسية فى هذا الموضوع عنوانه : « الحياة بعد الموت فى معتقدات الانسانية » بقلم كاتب أمريكى هو جيمس تاير أديسون ، وقد اتسم المؤلف فى كتابه الأسلوب العلمى ، ولكنه يعرض لنا من جهة أخرى فى عدة فصول وصور قوية بعض ما ينتاب الانسانية من أسباب المخاوف والروع من جراء تصور الحياة الأخرى وما وراء الموت .

وما زال الموت يروع الأحياء الذين يرون ملايين الموتى يذهبون تباعا إلى عالم لا يعرف كنهه ، ولكن الأحياء يخضعون حتما إلى قدرهم . ويبسط لنا المؤلف مختلف المعتقدات والنظريات الانسانية والملية فى مسألة الحياة والموت ، فى كل عصر وكل قطر ؛ وهذا القسم أمتع أقسام الكتاب ، ويلاحظ أن التباين فى المعتقدات الانسانية على كر العصور وفى مختلف الأمم لم يمنع من وجود بعض التماثل بين معتقدات الانسان الأول وبين معتقدات أرقى المجتمعات ؛ والظاهر أن هذا التماثل إنما يرجع إلى أن غريزة الفضول والروع لا تختلف فى جوهرها عند الانسان الهمجى والانسان المتمدن ، فكما أن الجميع سواء أمام الحياة والموت ، فكذلك يشعر الجميع بنفس الجزع والفضول والروع

ويحدثنا المؤلف أيضا عن مختلف النظم والرسوم التى تتبع فى مختلف الأديان والأمم للعمل على سلام الروح ، وتزكية الراحلين عن هذا العالم إلى العالم الآخر

النقد

«محمـــــد»

كتاب الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ محمد سعيد العريان

أيكون لى أن أكتب عن توفيق الحكيم فى كتابه «محمد» بعد إذ كتب الزيات والرافعى ، أم يكون من فضول القول أن يَعْرِضَ مثلى لذاك وقد كتب الأستاذان الجليلان ما بلغا وبَلَغَا ما لا مطمح لى وراءه . . . ؟ ولكن كتابا يصنّفه «توفيق الحكيم» عن «محمد» جدير بأن يثير الفضول ، وأن يعذر من يقول فيطيل القول . . .

وما لتوفيق الحكيم ولمحمد ؟

أما المؤلّف فشابٌ من شباب هذا الجيل دَرَس دراسة أهله فى هذه المدارس المدنية التى تقول لمن يدخلها «أنتَ لستَ من هذه الأمة التى نَسَلَتْ من العرب ، واهتدتْ بهدْى الاسلام ، ونمت من روح الشرق وسِرّ روحانيته ؛ فاذهب فالتمس أمةً غير أمتك تفخر بمجدها وتباهى بماضيها . . . !»

وأما «محمد» فهو ذلك السرُّ الأعلى الذى يستغلق على من لم يتصل بروحانية هذا الشرق ، ويَغْمض على من لم يتعرف سرّ هذا الدين ، ويستخفى على من لم ينشأ موصول النسب بتاريخ الأدب القديم ... وأين توفيق الحكيم من ذاك .. ؟

على أن هذا البون البعيد بين توفيق الحكيم وتاريخ «محمد» هو الذى دعاه إلى أن يمدّ نظره إلى بعيد يتنوّر هذا السرّ من مطالعه ، ويستشرف لهذا النور من مشارقه ! فحياة محمد كانت الى قريب وقفا على طائفة من أهل العلم ، لا يتناولها إلا من أوتى كثيراً من الصبر على المعاناة فى استخراجها ، وكثيرا من القدرة على تنقيتها من فضول القول وحَشْو الرواة ولَغْو القُصّاص ، وقلّ من يملك القدرة والصبر على مثل ذاك ؛ ثم جاءت طائفة من كرام العلماء فجهدوا جهدهم فى جلاء هذا التاريخ والكشف عنه فكتب المرحوم الخضرى بك ، وكتب جاد المولى بك ، وكتبه الدكتور هيكل ، وكتب رضا ، فبلغوا مبلغهم فى ذاك ، واستطاع الناس أن يقرأوا «السيرة» كما ينبغى أن تُقرأ ، وأن يعرفوا من تاريخ الرسول ما لم يكن يعرف إلا الخاصة من علماء هذا الدين

ولكن أُترى هؤلاء العلماء — على ما بلغوا من التوفيق فيما جاهدوا ، وما أصابوا من الاجادة فيما عملوا — قد استطاعوا أن يحملوا واحداً لا يهتم بسيرة الرسول على أن يقرأ سيرة الرسول أو دعوا نفرا من شبابنا الذين لا يحسنون إلا اللهو والعبث إلى التماس الجِد فى حياة محمد وابتغاء المُثُل العليا فى تاريخه . . . لو أن واحداً من هؤلاء الشباب قرأ شيئاً من ذلك لأفاد وانبعثت نفسه ، ولكن أين ما يحمله على أن يقرأ ... ؟ إن هذه الكتب على ما أجدَت قد عجزت أو كادت عن اجتذاب هذا النوع من الشباب الذى لا يعرف شيئاً عن محمد ولا يهتمّ أن يعرف ؛ ولكن لرجل الفن سبيلا غير ذلك ، وقد عرف توفيق الحكيم سبيله

* * *

قصد المؤلف من كتابه الى عرض حياة الرسول الكريم عرضاً يكشف عن دقائقها ويجلو صورها على أسلوب من الفن بعيد عن فلسفة العالِم وتحقيق المؤرخ ، على أن فيه الفلسفةَ وفيه التاريخ كما ترى الحادثة بصورتها فى حياتنا العادية مرئية مسموعة تفعل فعلها فى النفس وتترك أثرها الملحقْ من غير تمايق ولا بيان ؛ وللأستاذ توفيق فى فنّه باعٌ وذراع . . . فهو قد درس «القصة» دراسة العلم ، وفَقِهها فِقْه الأدب ، وعالجها علاج الفنان المبتكر ، وانتج فيها إنتاجا سيخلد به بين أدباء العربية ولا أغلو إذا قلت انى لم أقرأ حوارا تمثيلياً فى العربية يعجبنى ويلذّنى مثل حوارٍ يصنعه توفيق الحكيم

بهذه القدرة الفنية قرأ توفيق ما كتب القدماء عن السيرة ، بحاسّة الفنّان تمثّلت له (مناظرها) كما نقلها في كتابه . وهو ضرب من الرواية لا نستطيع أن نضع له اسما من أسماء الرواية ، فهو ليس قصة ، وهو ليس رواية ، وهو ليس ترجمة تاريخية ، ولكنه منها جميعاً ؛ وهو مناظر حواريّة ، يباعد بينها الزمان والمكان ، وتجمع بينها وحدة الموضوع والغرض ؛ على أنه ليس يؤلفها شيء من لغة الحوار ولا أسلوب الكلام ، فليس له منها أكثر مما للمصوّر يرسم لك جزءاً من الزمن في ورقة ، لا ينقل إليك الزمان الماضي ولكن ينقلك اليه ، فاذا أنت ترى منه أكثر مما تريك الصورة ، وتسمع منه ما لا يُسمعك الرسم الصامت

ولا شك أن المؤلف قد جهد جهداً غير يسير في إخراج كتابه على ما يشتهي ، فهو نوع لم يُسبَق اليه ، وبابٌ اخترعه في فن الرواية ليس له حدود مرسومة تهديه السبيل ؛ هذا إلى أن الموضوع دقيق ، يقتضي الصبر والأناة وحسن الاحتيال ؛ وما ظنّك بالكاتب المسلم يؤلف شِبْه رواية عن محمد ، يجرى الكلام فيها على لسانه من غير أن يخترع أو يتزيّد ؛ ثم هو مع ذلك يحاول أن يرضى الفنّ ويَسلم بدينه في وقت معا . . . ؟

ولكن المؤلف بسبيل هذا الفن قد تصرّف في موضعين : أما أوّلهما فانه كان يجد بعض ما روى عن النبي محكياً بلغة الخبر لا بلغة الحديث ، واتجاهه في الموضوع أن يجعل القصة حواراً : كلاماً يجيب كلاما ، وخبراً يرد على خبر ، فلم يجد أمامه إلا أن يترجم الخبر إلى لغة الكلام لتستقيم له طريقه في الأداء . فمن ذلك مثل ماتقول كتب السيرة : « استأذن فلان على النبي ، فأذن له . » يؤديه المؤلف حواراً كما يلى :

— : إيذَن لفلان يارسول الله ...

— : أذِنْت

وهذا وإن لم يكن قولَ النبي — لأن عبارته في الاذن لم تنقل إلينا في الحديث — جائزٌ فيما أراه ، فهو بابٌ من رواية الحديث بالمعنى ، وقد أجازها رجاله . على أن هذا النوع في الكتاب قليل جداً لا يتجاوز بضع عبارات ؛ ولعل أطول عبارة أجراها المؤلف على لسان النبي ، هي ذلك الدعاء الذي ترجم له كتاب السيرة بقولهم : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنّث في غار حراء ... » فرأى المؤلف من تمام موضوعه أن يجعل على لسان النبي كلاماً يدعو به ربّه في تحنُّثه (ص ٣١) ، وأحسب أن المؤلف كان كثير الحرج في مثل ذلك ، فاني لأحسّ في أكثر من موضع من الكتاب أن كلاماً هناك كان ينبغي أن يقوله محمدٌ فلم يقله (المنظر الثالث ف ا ، النبي وورقة بن نوفل ص ٣٧)

أما الموضع الثاني الذي تصرف فيه المؤلف ، ففي ترتيب مناظر الكتاب ، فهو لم يلزم الترتيب الزمنيّ الذي جرت عليه السيرة ، فقدّم وأخر ، ومازج حوادثَ وحوادث ؛ وليس في هذا — على إجماله — ما يعيب المؤلف ، فهو لم يقصد إلى أن تكون للكتاب وحدةُ القصة ، بحيث تنبنى حادثة على حادثة ، وتأتى مقدّمة بنتيجة ، بل جرى على أن يجعله مناظر يُعطى كلُّ منظر منها أو مناظر صورة خاصة لفكرة أو حادثٍ بعينها ، ثم أن يكون للقارىء من مجموع هذه الصور في النهاية ، صورةٌ محدودة للنبيّ الكريم كما يجب أن يعرفها المسلم

الآن قد فرغت من عرض الكتاب كما أراد مؤلّفه وكما دلّني على نفسه ، واني لأشهد أن مؤلّفه قد وُفّق توفيقاً كبيراً فيما حاول ، وبلغ بهذا الكتاب مالا يبلغ غيره ؛ وما أحسب أن لى في هذه الناحية أن أتكلم عن توفيق الحكيم في فنه ، فمن للعربية في فن الرواية مثل توفيق ؟ على أن هذا الكتاب بابٌ جديد هو زادَه وأنشأه في فن القصة ، فمن الفضول أن تقول له : أنت اخترعتَ وأنت لم تبلغ حدّ الكمال . . . !

ولكن طابع توفيق الحكيم وشخصيته الفنية لم يكونا ظاهرين مميزين في أسلوب الحوار وفي تساوُق القصة ظهورهما وتميزهما في سائر ما ألّف . وسرُّ ذلك واضح ، فهو هنا لم يضع الكلام ، ولم يخترع الحادثة ، بل نقل وصنّف ، وداخل ومازَج ، وإنما تجد طابعه وشخصيته حيث يجد لنفسه الحرية فيما يقول أو فيما يضع : (إقرأ الحوار بين إبليس والحية ص ١٥٣ — ١٥٧ ، وموت أبى طالب ، وغزوة بدر ، وحديث الافك ، ووحشة القبور) فانك واجد فيها وفي كثير غيرها روحاً وحياة وفناً ، فكأنك معها ترى وتسمع وتحسّ

وأكثر الكتاب من لغة الرواة ، لاءم بينها المؤلف ، ما استطاع ليربطها على أسلوب من البيان منسجم ، فأىّ جهد

حل من ذلك ؟ . . . ولكن عبارات وكلمات نقلت على غير وجهها مما أخطأ الأفندمون فى نسخه ، وعبارات وكلمات جاءت متداخلةً من وضع المؤلف ، فأخلّت بنظم الكلام فى غير موضع ، ونبا بها مكانها من ذلك البيان العربى المشرق . على أن ذلك لا يعدو بضع عشرة كلمة فى الكتاب كله ، فما نراها إلى جانبه بشىء ذى بال

وقد كان جهد المؤلف كبيراً فى ربط الروايات المختلفة والتوفيق بينها ، ليخلص منها إلى الرأى الذى يرى ؛ وكان إلى ذلك حريصاً على أن تكون (المناظر) قليلة بقدر ما يتأتى له ، فجاء من ذلك أن يجمل الحوار فى منظر واحد لأكثر من موضوع ، وإذ كان الحديث كله بين المتحاورين من الآثار المروية — لم يغير ذلك شيئاً من نصّ الكلام كما نقله السلف ، ولكنه غير جوّه فتغير من ذلك مدلوله ؛ فمن ذلك حديث النبى عن زوجاته فى الجنة ، إلى خديجة وهى تُحتضر ، (وفاة خديجة ص ١٠٠) ؛ ومنه حديث : « حُبِّب إلىّ الطيب والنساء » روايتُه على مسمع عائشة فى غيرتها المشبوبة وقد جاءها النبى يهمّ أن يتزوج جويرية بنت الحارث . . . !

وجاء فى خبر عثمان بن مظعون أن ملاحاةً كانت بينه وبين لبيد بن ربيعة قبل هجرته إلى الحبشة ، وأحسب ذلك كان بين الهجرتين ؛ فقد كان عثمان على رأس الفوج الأول إلى الحبشة ، ثم عاد فاستجار الوليد بن المغيرة حيناً ، ثم خلع جواره وكان بينه وبين لبيد الشاعر ما كان بعد خلعه جوارَ الوليد ، ثم هاجر ثانية إلى الحبشة (ص ١٠٥)

ونقل الكتاب فى حديث الإفك (ص ٣٧٦ — ٣٧٧) أن أمّ مِسْطح قالت : تعس مسطح . إذ وجدت ما وجدت فى وجه عائشة من إعياء المرض ؛ والذى أذكره أن أم مسطح قالت ذلك لغير هذا السبب ، ولا أرى داعية للعدول عن المأثور فى الرواية

أما بعد ، فما حاولت بما أسلفت أن أنقد ، ولو أننى حاولتُ لما وجدت ؛ وإنما أذكر هذه الهنات كشهادة على براءة الكتاب وكماله ؛ وحسْبُ توفيق الحكيم أن يخرج كتاباً عن محمد على نهج جديد فى الفن ، ثم لا يجد الناقد فيه غير ما قدّمت ، وإنه لتوفيقٌ من الله أن يتهيأ لحياة محمد أديب كبير مثل توفيق يربط أسمى ما فى الفن بأقدس ما فى تاريخ الاسلام . وما أحسب — وهذا الكتاب بين أيدينا — سنشكو القطيعة بعد اليوم بين شبّاننا الذين يعشقون الجديد ويقدرون الفن ، وبين سيرة النبى الكريم . وإنى وقد فرغت من قراءة هذا الكتاب منذ قليل لأشعر بالحنين إلى الساعات السعيدة التى قضيتها منه كأنى أعيش فى عصر النبوّة ، وما أرى هذا الحنين سينقضى حتى أعود إلى الكتاب فأقرأه مرة ومرة ومرات ، حتى أروى ما بنفسى من ظمأ إلى هذا الكوثر العذب ، وهيهات أن أشعر بعدُ بأنى شربت حتى رَويت . . .

(شبرا) محمد سعيد العريان